أنطوان نجم

الوحدة اللبنانية

بيروت - ١٩٦٠

أنطوان نجم

الوحدة اللبنانية

بيروت - ١٩٦٠

الطبعة الأولى – بيروت – ١٩٦٠

الإهداء

إلى أستاذي رينه حبشي

وإلى كل مؤمن بلبنان ضرورة إنسانية

اهدي هذا الكتاب

مصيبة لبنان أن في لبنان أناساً لا يعرفون تاريخ لبنان .

انيس فريحه

تمهيد

التاريخ اللبناني والوحدة الوطنية .

من أهم العوامل في تصديع الوحدة الوطنية اللبنانية نشاط بعض اللبنانيين لدمج لبنان في «وحدة عربية» أو «سورية طبيعية». وقد زاد في خطورة هذا النشاط جهل فئة كبيرة من المواطنين تاريخهم اللبناني حتى بات من شبه المؤكد أن أقل الناس إيماناً بلبنان أقلهم معرفة بتاريخه .

فتلبية لحاجة ثقافية وطنية ،

وسعياً لرفع النقاش العقائدي إلى المستوى العلمي ،

وإسهاماً في توطيد وحدة الأمة اللبنانية ، نقدم هذه الصورة الموجزة لاستقلال لبنان عبر تاريخه ، مستعرضين بوجه خاص جهاد اللبنانيين لتحقيق الوحدة اللبنانية .

فمع أملنا أن يجد المواطن فيها ما يساعده على تفهمٍ أفضل للقضية اللبنانية ، نتمنى مخلصين أن توضع هذه المحاولة على بساط البحث كي يتاح لنا الوصول إلى نتائج إيجابية تكون أسساً متينة في بناء الوطن .

يحيا لبنان

ا . ن .

الفصل الاول

في العصور القديمة

*

في عصور ما قبل الميلاد عاش الفينيقيون دويلات مستقلة تتنافس في التجارة وعلى النفوذ وتتحاسد ، ولكن قلما تتحارب .

كانت فينيقية كما نعلم ، بحكم موقعها الجغرافي ، ممراً للفاتحين. يعارضهم الفينيقيون تارة ويسالمونهم تارة أخرى أو يحالفونهم لقاء شروط معينة . وفي حال خضوع الممالك الفينيقية لحكم ما ، كانت تبقى على الغالب مستقلة داخلياً استقلالاً يضيق أو يتسع بحسب الظروف السياسية .

يقول الدكتور عادل اسماعيل[1] : « أما المدن الساحلية فان موقعها في السهول الخصبة وسهولة الوصول إليها قد حددا مصيرها منذ فجر التاريخ ، وهو أن تكون ضحية الغزاة . كان الفاتحون حتى زمن الفتح العربي، من الأشوريين والبابليين إلى البيزنطيين، مروراً بالفرس واليونان المكدونيين والرومان ، يتركون لها استقلالها الذاتي . وانه لواقع جدير بالاعتبار أن نرى صيدا وصور وغيرهما حتى مستعمراتها في الخارج تؤرخ أعمالها بالتأريخ الصوري أو الصيدوني في عهد متأخر وفي أيام الامبراطورية الرومانية » .

والحقبة الممتدة ما بين ١١٥٠ و٧٥٠ ق.م. على وجه التقريب أشهر عصور الاستقلال في تاريخ فينيقية يوم نَعِم لبنان باستقلاله التام. إذ تخلّص من خطر الزحف الحثي وتملّص من سيطرة النفوذ

---

١ - Adel ismaïl T I P 14

المصري ، لا سيما وإن اشور كانت ما تزال منهمكة في شؤونها الداخلية [1] .

هذا ، وغالباً ما كان يلجأ الفينيقيون إلى التحالف والدول القوية تخلصاً من دولة حاكمة، مثاله اتفاق الفينيقيين سراً والمصريين على الأشوريين في أواسط القرن الثامن قبل الميلاد ، يوم أذاقوهم الأمرين بضرائبهم الثقيلة واستبدال حكامهم بحكام أشوريين .

ويصف الدكتور فيليب حتي [2] حالة فينيقية في العهد الفارسي فيقول : « أما في فينيقية فسمح لأربع مدن هي ارواد وجبيل وصيدا وصور بممارسة الحكم الذاتي المحلي . وأعطيت كل منها حق الحكم على دولة صغيرة . وفي القرن الرابع اتحدت دويلات المدن الفينيقية هذه بعضها مع بعض وجعلت طرابلس ، وهي مدينة حديثة العهد ، مقر المؤسسات الاتحادية. وبعد ان كانت طرابلس تتالف في الأصل من ثلاثة مراكز متفرقة تحمل أسماء ممثلي صور وصيدا وارواد،توحدت في السنة الأولى من حكم ارتحششتا الثالث وسُميت «اثار»أو ما يشبه ذلك كما ورد على قطعة نقود محلية تعود إلى سنة ١٨٩–١٨٨ ق.م. وقد دعاها اليونان تريبوليس (بالعربية طرابلس) . وبما أن هذه المدينة الثلاثية كانت مكان اجتماع المجلس العام الفينيقي فانها قامت بوظيفة عاصمة لفينيقية . كان يعقد المجلس اجتماعات سنوية يشترك فيها نحو ثلاثمائة مندوب » .

على أن هذا العهد السعيد لم يدم طويلاً . فقد أخذ المرازبة

---

١ - مزهر ص ٣١

٢ - حتي . تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج ١ ص ٢٤٦ – ٢٤٧

يستبدون حتى ساء التفاهم بينهم وبين أمراء فينيقية فتنادروا معلنين الثورة على السلطة الفارسية. فحاصر ارتحشستا الطاغية مدينة صيدون زعيمة فينيقية آنذاك ، فأقفلها أهلها وأعملوا النار بها ومن فيها . وكان ذلك سنة ٣٥٨ ق.م .

كذلك قاومت صور الاسكندر سنة ٣٣٢ ق.م . حين أصرّ على دخولها وأبى أهلوها عليه ذلك . فحاصرها ستة أشهر ثم دخلها وأعمل السيف برقاب أهلها . ويعلق بترو ديب على ذلك بقوله : « كان هؤلاء التجار يعرفون كيف يموتون[١] » .

وفي الطور السلوقي نالت الممالك الفينيقية شيئاً من الاستقلال الذاتي مقابل دفع الجزية والقيام بالخدمات اللازمة التي تتطلبها ظروف السلوقيين الحربية .

أما في العهد الروماني ، وإن لم تنفرد المناطق الفينيقية بالامتيازات التي منحها الرومان لأكثرية مدن الشرق الخاضعة لسيطرتهم ، فقد حازت المدن الفينيقية كلها تقريباً على تلك الامتيازات . فمنحت صيدا وصور حقوق الرعوية الرومانية والاستقلال الداخلي والامتيازات الخاصة التي أعفت السكان من الضرائب المفروضة على غير من شملتهم الرعوية الرومانية ، هذه الامتيازات التي خولتهم حق رفع دعاويهم من ديوان الوالي الروماني في انطاكية إلى الديوان الامبراطوري في رومة . وتساوت بهما فيما بعد جبيل وطرابلس وبعلبك وبعض المدن في سورية .

---

١ - Petro Dib - Le Liban dans L'histoire

أما مدينة بيروت فكان لها معاملة خاصة إذ جعلت مركزاً حربياً وتجارياً وعلمياً في آن واحد. وجعل الرومان منها «رومة» الشرق. فهجر بعضهم الغرب واستوطنوها حتى أصبحت في زمن الأباطرة مستعمرة رومانية (بالمعنى الأساسي لكلمة مستعمرة) مستقلة، لها كأهل رومة أنفسهم: حاكمان وطنيان أحدهما إداري والآخر عسكري. ومجلس بلدي كان ينتخب الموظفين ويهتم معهم بتصريف مختلف شؤونها.

الجبال – الحمى

بعد ظهور النصرانية، ظلت الوثنية في فينيقية على قوتها فترة من الزمن ولا سيما في الجبال التي لعبت دوماً دورها الطبيعي كحمى للحريات.

يقول فيليب حتي [1]: «وبما أن طبقات جبال لبنان مائلة على العموم وملتوية وعمودية أكثر منها أفقية، فقد نتج عن ذلك خليط من التلال والشواهق والأودية مما جعل المواصلات صعبة بين مناطق البلاد وأقسامها ... ومثل هذه الأراضي كانت خلال العصور ملاجىء للأفراد والجماعات الذين اختلفت ميولهم السياسية وعقائدهم الدينية عن أهل بيئتهم ... فجبال لبنان وهي جبال بكل معنى الكلمة، قد كانت خلال العصور موطن اللاجئين وقضاياهم الفاشلة كما أنها كانت آخر المناطق التي سقطت في أيدي

---

١ – حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج ١ ص ٣٨ - ٣٩.

الغزاة الأجانب » .

ويقول بيار روندو[1] : « كان لبنان دوماً موضعاً رحباً لجميع اللاجئين إليه على مختلف ألوانهم: لليعاقبة في نزاعهم مع الأمبراطورية البيزنطية ، للموارنة المخلصين لرومة ، للشيعة والدروز ... وأيضاً للسنيين في صراعهم مع كتل سنية أخرى، فوجد الجميع فيه بغيتهم واتخذوه لهم وطناً .

« ولكل هؤلاء اللاجئين في الواقع نفسية عميقة واحدة : فمع انهم يتشاطرون مصيراً واحداً فهم يراقبون بعضهم بعضاً، ولكنهم يتبادلون الاحترام حتى وهم يتقاتلون . وكأن الشعور بالمساواة بين العقائد الدينية قد ولد في لبنان لأول مرة . أوَليس لبنان الوطن الوحيد الذي غيّر فيه أميره دينه دون أن يتذمر أحد من المواطنين أو يتبرّم ؟ » .

ويعتقد المستشرق روندو أن حلّ معضلة الأقليات في العالم برمته يجب أن يستوحى من لبنان[2] .

---

١ - p. Rondot . Interview à L'orient

٢ - p. Rondot , Interview à L'orient

الفصل الثاني

في العصور الوسطى

*

في زمن الفتح الاسلامي اعتصم فريق من اللبنانيين في الجبال عندما احتل المسلمون العرب ساحل لبنان بقيادة يزيد بن أبي سفيان. واكتفى الفاتحون بالسيطرة على الساحل تاركين الجبال وشأنها لصعوبة اقتحامها. قال ابن الأثير[1]: « سار يزيد إلى صيدا وجبيل وعرقه وبيروت... وعلى مقدمته أخوه معاوية ففتحها فتحاً يسيراً وجلا كثيراً من أهلها الذين كانوا يمالئون الروم واستقدم قوماً من الفرس ليستوطنوا مكانهم فاتقى بذلك شرهم. أما الجبال فبقيت حصينة ولم تقوَ جيوش العرب على تسلقها و كبحها لوعورة مسالكها وشدة بأس أهلها ».

فهذا الحصن الوعر بغاباته الكثيفة حفظ الاستقلال اللبناني خلال عصور عديدة عندما كان هذا الاستقلال يتقلص عن الساحل.

من هذه الجبال انطلق اللبنانيون الموالون[2] للبيزنطيين يضايقون العرب مما دفع معاوية، ثم عبد الملك بن مروان إلى طلب الصلح من الأمبراطور البيزنطي شرط وضع حدّ لنشاطهم. فاحتال يوستنيانوس الأخرم عليهم وأبعد منهم خلقاً كثيراً. فنقم عليه أنسباؤهم وانتقموا لأنفسهم من الجيش البيزنطي عام ٦٩٤. « وهكذا ظل لبنان مستقلًا داخلياً ضمن الأمبراطورية الأموية[3]» يستبسل أبناؤه في الذود عن حريتهم و كرامتهم.

---

١ - ذكره مزهر ص ١٧٢.

٢ - يدعوهم بعض المؤرخين بالمردة.

٣ - رستم والبستاني ص ٥٣

وثار اللبنانيون على الدولة العباسية سنة ٧٥٩ . ولكنهم فشلوا في حركتهم . فانتقم العباسيون منهم بوحشية مما حدا بالإمام الاوزاعي للاحتجاج بشدة على تلك المعاملة [1].

وفي سنة ٩٩٧ ، قام علاقة في صور ورفع أسوار مدينته بمؤازرة البيزنطيين وأعلن استقلالها . ولكن سرعان ما قضى الفاطميون على الثورة وصلبوا علاقة زعيمها . فعاد الهدوء النسبي إلى المناطق اللبنانية . وعاش اللبنانيون ولا سيما في المناطق الجبلية عيشة هادئة لا يعترفون بسلطة أحد عليهم .

أما في العهد الصليبي فقد حكم الشعب أمراء الطوائف ومقدموها وشيوخها حكماً اقطاعياً وراثياً مستقلاً في الشؤون الداخلية .

وأما المماليك فراحوا يصفّون أعمال الصليبيين ، فاجتاحوا الساحل وهدموا قلاع صيدا وبيروت . ثم نظّموا سنة ١٣٠٥ حملة إلى كسروان هادفين إبادة المتمرّدين فيها وأغلبهم من أهل الشيعة . فتمكنوا من سحق كل مقاومة ثم أمعنوا حرقاً وتقتيلاً وتشريداً [2].

وبعد أن أستتب الأمر للمماليك وفقد الصليبيون كل أمل بالعودة ، عاد اللبنانيون إلى السكينة وعاشوا بهدوء بحكمهم أمراؤهم ومقدموهم وشيوخهم في اقطاعات مستقلة تعترف جميعها بسلطة المماليك .

وما زال لبنان على هذه الحال حتى فتح السلطان سليم سورية سنة ١٥١٦ .

---

١ - Lammens T. I , P. 132

٢ - Lammens T. II , P.16, et, Mouterde p. 85

الفصل الثالث

لبنان في عهد أمرائه

*

أحواله العامة

دخل السلطان سليم العثماني سورية ظافراً . فلاقاه فخر الدين المعني الأول في دمشق وألقى أمامه خطبة أعجب بها . فثبّته على امارة الشوف له ولأبنائه من بعده ، وقدّمه على أمراء لبنان ، وأعطى الجبل استقلالاً داخلياً على أن يدفع جزية خفيفة .

قال أسد رستم في هذا الصدد: « وانحاز اللبنانيون عن المماليك في أثناء الفتح العثماني أو قبله ومالوا إلى الأتراك . فنالوا بذلك امتيازات في الحكم لم يتمتع بها غيرهم بين طوروس وسيناء. فكان على الولاة العثمانيين أن يعترفوا بحكومة لبنانية تدير شؤون لبنان الداخلية بزعامة أمير لبنان ، معني ثم شهابي[1] ».

ويقول البارون دي تود: « نرى استبداد العثمانيين يمتد على كل الشاطىء ويتوقف عند الجبال ، عند أول صخرة وأول فج يسهل الدفاع عنه . أما الدروز والمتاولة الخ ... أسياد لبنان الجنوبي ولبنان الشرقي فقد حافظوا دوماً على استقلالهم[2] » .

ويقول حتي[3] : « كان الوالي التركي في دمشق عموماً هوضابط الاتصال بين الباب العالي والزعماء الاقطاعيين اللبنانيين . وكان

---

١ - رستم ج ١ ص (الف).

٢ - Cité par A. ismaïl T.I p. 12

٣ - حتي. تاريخ العرب ج ٣ ص ٨٥٨

هؤلاء بوجه عام مستقلين في الأمور الداخليـة يورثون اقطاعاتهم لذريتهم ويفرضون على أتباعهم الضرائب والرسوم ولا يقومون بالخدمة العسكرية للسلطان » .

ويصف أسد رستم أحوال لبنان في عهد أمرائه فيقول :

«كان لبنان لا يزال ينعم بنظام داخلي خاص منذ العهد العثماني. وقد قضى هذا النظام بتوحيد جميع الأراضي اللبنانية في شخص أمير لبناني ينتمي إلى أسرة لبنانية معينة دون سواها : المعنيين أولاً ثم الشهابيين . وشملت الأراضي اللبنانية أجزاء معينة من إيالات صيدا وطرابلس ودمشق دعيت معاملات . فمعاملة صيدا اللبنانية بدأت عند مصب نهر الأولي بالقرب من صيدا وانتهت عند جسر روماني قديم شمالي جونيه دعي جسر المعـاملتين لأنه كان الحد الفاصل بين معاملة صيدا وبين معاملة طرابلس . وشملت هذه المعاملة الثانية جميع ما وقع بين جسر المعاملتين وبين نهر البـارد شمالي طرابلس . ودخل في لبنان أيضاً أكثر سهل البقاع وبعلبك وجميع المنحدرات الغربية من جبل الشيخ بما فيها حاصبيا وراشيـا حتى أصبح الحد الفاصل بين لبنان وبين حكومة دمشق مقلب المياه في أعلى جبل الشيخ [١] » .

إلى أن يقول في مكان آخر : « وكان الأمير الحـاكم يجبي الضرائب ويوردها في حينها ويؤمن العباد ويقضي بينهم . وكان لأعيان البلاد حق انتقاء الأسرة الحاكمة كما جرى عند انقراض

---

١ - رستم ج ١ ص ٢

المعنيين سنة ١٦٩٧ وحق التشاور معها فيما يعود لمصلحة الكل ... وكان لبنان لا يزال منظماً تنظيماً إقطاعياً . للأمير الحاكم أن يولي من شاء من رجال الاقطاع ويعزل من شاء ولكنه لا يخرج في ذلك الحين عن أفراد الأسرة الموجلة بالاقطاع ... وقضى الخضوع للسلطان بتقبّل أحكام نواب الشرع في طرابلس وبيروت وصيدا . ولكن سلطة هؤلاء الفعلية قلما تناولت أبناء لبنان . فالأمير كان ينفّذ قرارات شيخي العقل في بتدين وعماطور في الأحوال الشخصية الدرزية وفيما يعرض عليهما من الدعاوي الحقوقية . وكان لبطاركة النصارى ما لهذين من الصلاحيات القضائية. وكان الأمير أيضاً يجري أحكام قاض درزي آخر يعيّنه هو ويجلس للقضاء في الدعاوي الحقوقية في دير القمر . وينفّذ أحكام قاض خاص ينظر في الدعاوي العقارية ... أما الدعاوي الجزائية فانها كانت من اختصاص الأمير الحاكم ورجال الاقطاع[١] ..»

وأما عن تحزباتهم فيقول :

« لم يقم اللبنانيون للطائفية وزناً في تحزباتهم السياسية ... ولم يهدف المتحزبون إلى برنامج معين يطالبون به ويحاولون تحقيقه . ولكنهم قصدوا التضامن في السراء والضراء وتوخوا من جراء انضمامهم مساعدات مادية ومعنوية ضمن الحكومة وخارجها وفي جميع أوقات الضيق . وجرى مثل هذا بين أسرٍ معيّنة وبقطع النظر عن الطائفة التي انتموا إليها[٢] ». فانقسموا إلى قيسيين ويمنيين

---

١ - رستم ج ١ ص ٢ - : - ٥

٢ - رستم ج ١ ص ٦

ثم إلى جنبلاطيين ويزبكيين .

فخر الدين المعني الثاني والوحدة اللبنانية

على الرغم من هذا الاستقلال الذاتي ، ظل لبنان يشغل الدولة العثمانية منذ سيادتها عليه حتى تقلصها عنه .

فقد أدرك فخر الدين المعني الثاني أن لا سبيل إلى الاستقلال التام ما لم يتعاون مع حليف قوي. فاتصل باميرتوسكانا وتفاوض معه في كيفية مساعدته على التحرر من النير العثماني .

ومما يدل على عظمة فخر الدين الثاني والتفاف أبناء البلاد حوله، أن الغربيين ، بعد أن أرسلوا من يدرس حالة لبنان ومكانة الأمير المعني فيه ، أخذوا يتسابقون في تكريمه ، حتى أن فيليب الثالث ملك اسبانيا دعاه إلى زيارة بلده .

وفخر الدين، وهو مؤسس الكيان اللبناني[١]، أول أمير يحمل لقب أمير لبنان ، فقد كان يدعى : أمير صيدا وجبل لبنان[٢] . يقول عادل اسماعيل : « وجعل فخر الدين من هذه الفسيفساء من الطوائف والمذاهب التي يتألف منها لبنان ، أمة ووطناً في امبراطورية كانت لا تزال تجهل فكرة الوطن[٣] » .

وقال عنه الأب قرألي : « سطعت عظمة فخر الدين في سياسته

---

١ - Lammens , T.I , p. 73

٢ - Adel ismaïl , T.I, p. XIV de l'introduction

٣ - idem p 168

الداخلية الرامية إلى الوحدة اللبنانية، والخارجية الرامية إلى تعزيزها وتأمينها، سطوعاً بهر أبصار معاصريه. فعدوه عن حق أكبر أمير في الامبراطورية العثمانية، رسم لوحدة لبنان واستقلاله وعظمته خطة واسعة النطاق محكمة الجوانب، سعى وراءها طيلة ٤٥ سنة بقدم ثابتة وعزم حديدي ونظر حاد ويقظة وفطنة ومرونة[1] » .

ويقول حتي[2]: « وكان حلمه (حلم فخر الدين) الأكبر ذا فروع ثلاثة :

أولاً – تأسيس وطن أكبر أو لبنان أكبر من لبنانه الجبلي.

ثانياً – قطع العلاقات بينه وبين الباب العالي .

ثالثاً – وضع لبنان في طريق التقدم والعمران . وبالفعل كاد يحقق حلمه كله، فقد تسلم من الباب العالي سنجقي بيروت وصيدا، وانتزع من جيرانه في الشمال طرابلس وبعلبك والبقاع » .

غير أن نقمة الأتراك اشتدت عليه ولا سيما بسبب استمرار اتصالاته بإيطالية فسيروا عليه قوة أمبراطورية ضخمة، برية وبحرية، فغلب على أمره وأسر وشنق في اسطنبول .

انتقال الحكم الى الشهابيين

توفي الأمير أحمد آخر الحكام المعنيين سنه ١٦٩٧ بدون عقب . فخلت بموته سدة الامارة . فطلبت السلطة العثمانية إلى

---

١ - ذكره مزهر ص ٢٦٤.

٢ - حتي . تاريخ العرب ج ٣ ص ٨٥٨ .

أعيان جبل لبنان أن يختاروا حاكماً ، فاجتمعوا في سهل السمقانية بين المختارة ودير القمر وانتخبوا بشير حسين الشهابي أميراً على لبنان كما يقول الشدياق [1] .

كما أنه في السنة ١٧٧٠ أراد الأمير منصور الشهابي اعتزال الحكم لضعفه وعجزه . فجمع مواطنيه اللبنانيين لإنتخاب خلف له ـ لعلمه بأن هذا الحق للبنانيين لا للباب العالي ـ . ومما قاله [2] :

« يا معشر آل لبنان من أمراء وأعيان ... إنني لما مضي عليّ من الزمان قد ضعف جسمي وضجرت نفسي ولم يبقَ لي اقتدار على حمل أعباء الولاية. فها أنا قد خلعت نفسي عنها وسلمت مقاليدها طوعاً إلى ابن أخي الأمير يوسف . فكونوا له مطيعين واعلموا أنه الوالي عليكم أجمعين ... » . فرضي أهل البلاد وبايعوا الأمير يوسف ، وأبلغوا الدولة فاعترفت به أميراً على لبنان .

ولما رأى الأمير يوسف أخويه الأمير سيد أحمد والأمير فندي يتنازعان الامارة ، قرّ رأيه على القيام بعمل سبقه إليه الأمير منصور . فجمع أكابر البلاد سنة ١٧٨٨ في دير القمر ، وأبدى لهم رغبته في التنحّي عن الامارة ، طالباً منهم أن يختاروا غيره من الشهابيين. فانتخبوا الأمير بشير بن الأمير قاسم عمر وهو الملقب بالكبير [3] .

وهذه الاجتماعات دليل ساطع على استقلال لبنان الداخلي وعلى

---

١ ـ الشدياق ج ٢ ص ١٥

٢ ـ الشدياق ج ٢ ص ٤١

٣ ـ الشدياق ج ٢ ص ٧٢

ما كان يتمتع به اللبنانيون من امتيازات « لم يتمتع بها غيرهم بين طوروس وسيناء » .

عهد الامير بشير الشهابي الثاني

تاريخ لبنان في عهد الأمير بشير الشهابي الثاني يشبه في خطوطه العامة إلى حد ما ، تاريخ لبنان في عهد الأمير فخر الدين الثاني . فكلا الأميرين استهدف توطيد الاستقلال الداخلي فالتام .

ويقول أسد رستم : « وحّد اللبنانيون كلمتهم آنئذ بوجوب الاحتفاظ بنظامهم الخاص والمحافظة على حرياتهم . فهب أميرهم (بشير الثاني) يسعى لتحقيق رغباتهم. وانتهز فرصة وجود الصدر الأعظم يوسف ضيا باشا في بر الشام سنة ١٧٩٩ ففاوضه في ربط لبنان بالآستانة مباشرة ومنع تدخل حكام الولايات في شؤونه . وكان الصدر بحاجة لرضى العناصر المحلية ولا سيما لبنان ليدفع الضرر الذي لحق بالسلطنة من جراء الحملة الفرنسية على مصر. فالتقاه بكل اكرام وأحبه حباً عظيماً لأجل صورته وجسارته ، ووعده بكل ما طلبه... ووجّه إليه فرماناً بذلك. تسلّم الشهابي الكبير هذا الفرمان وبات ينتظر تنفيذه ولكن دون جدوى[١] » .

وفي مطلع القرن التاسع عشر قامت بعض الحركات الرجعية التعصبية في سورية[٢] باتخاذ تدابير أضطهادية بحق بعض الأقليات ،

---

١ - رستم ج ١ ص ١٣ - ١٤.

٢ - رستم ج ١ ص ٣١ .

فالتجأ إلى لبنان « عدد لا يستهان به من نصارى الأيالتين: دمشق وطرابلس[1] ». « وشكا دروز الجبل الأعلى أمرهم إلى الشهابي الكبير واستعانوا به وبالشيخ بشير جنبلاط[2] ... » . « فأمر (الشهابي) بنقل الدروز من الجبل الأعلى إلى لبنان. فتم ذلك على نفقة البشيرين. ودخل إلى لبنان سنة ١٨١١ أكثر من أربع مئة عائلة من هؤلاء الدروز وزعت على قرى الشوف وغيره من مقاطعات لبنان الوسطى والجنوبية ولا يزالون وقد لقب بعضهم بالحلبي[3] » .

وكلا الأميرين (فخر الدين وبشير) اختار التحالف ودولة قوية لتحقيق هدفه. فقد تحالف المعني مع الأوروبيين والشهابي مع المصريين وكادا يحققان المبتغى لو لم تعاكسهما الظروف .

كان محمد علي باشا يعلق آمالاً كبيرة على محالفة الشهابي ، لأن لبنان – وهو أقوى طاقة عسكرية محلية في القرون السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر – كان بإمكانه أن يجابه ولاة دمشق وصيدا وحلب معاً .

ولكن عاهل مصر أساء معاملة اللبنانيين فانقلبوا عليه. وصدق ظن المسيو بازيلي ، قنصل روسية ، يوم كتب بتاريخ ١١ حزيران ١٨٤٠ إلى المسيو بوتينيف، المندوب الروسي في الآستانة، يقول: « كما أن انضمام اللبنانيين إلى جيش ابراهيم باشا سنة ١٨٣٢ قد جرّ معه خضوع كل سوريا، فلا يبعد أن ثورتهم اليوم ستؤول إلى طرد المصريين نهائياً من هذه البلاد[2] » .

---

١ - ٢ - ٣ - رستم ج ١ ص ٣١ .

٤ - المحررات السياسية ج ١ ص ٧ .

ويذكر الدكتور رستم أنه قد «التبس على العزيز وجه الصواب فتدخل في شؤون اللبنانيين ، وطلب منهم سلاحهم ، ثم ابناءهم للخدمة في جيشه . فرأوا في هذين الأمرين محاولة جديدة لسلب حريتهم . فنفروا منه وأذاقوه الأمرين في حوران أولاً ، ثم في وادي التيم ، فكسروان والمتن . وتدخلت الدول ، فاضطر باشا مصر بعد ذلك إلى أن يعود إلى بلاده وأن ينكمش على نفسه [1]» .

ثار اللبنانيون على المصريين كما ثاروا على الأتراك ، وقرروا في انطلياس في ٨ حزيران ١٨٤٠ إعلان الثورة ، ووقعوا اتفاقية جاء فيها : « انه في يوم تاريخه قد حضرنا إلى مار الياس انطلياس نحن المذكورة أسماؤنا بوجه العموم من دروز ونصارى ومتاولة وإسلام المعروفين بجبل لبنان [2] ... » .

ثم نشروا على اخوانهم بياناً ذكروا فيه دواعي انتفاضتهم ، ومنه قولهم : « ان سكان لبنان رغماً عما هم فيه من الأنفة وروح الاستقلال احتملوا بصبر مظالم السلطة الجائرة مراعاة لخاطر الأمير بشير الشهابي على أمل أن يضمن لهم صبرهم هذا حفظ شرفهم وحريتهم وكيانهم ... فلا تترددوا بل فلنتحد اتحاداً وثيقاً لحمته وسديته العواطف . ولننهض بغير خوف ، فان الإستبداد الذي يهددنا حتى آخر ساعة من حياتنا هو على وشك أن يهدم وطننا ... فقد أقسمنا على استعادة استقلالنا أو نموت في هذا السبيل [3] » .

---

١ - رستم ج ١ ص (ب)
٢ - المحررات السياسية ج ١ ص ٢
٣ - المحررات السياسية ج ١ ص ٣ - ٥

ولكنهم انتصروا ودارت الدائرة على المصريين واستسلم أبو سعدى للانكليز ، فخسر لبنان بشيره الثاني ودخل في حقبة من الفوضى لم تنته حتى السنة ١٨٦١ .

التزاحم الاوروبي والفتن والفوضى ونظام القائمقاميتين

اشتد تزاحم الدول الأوروبية على النفوذ في الشرق ، من جهة — ولا سيما بين إنكلترة وفرنسة —، وأخذت الدولة العثمانية تغذي الفتن والفوضى والتفرقة بين الطوائف من جهة أخرى . ذلك أن السلطنة العثمانية أدركت أن « الطريق الوحيد لوضع لبنان تحت سيطرتها المباشرة هو إثارة الفتن والحزازات بين الدروز والموارنة[1] »

وعلى أثر الفتنة الحزبية سنة ١٨٤١، رأت تركية أن تعيّن علي باشا الوالي التركي حاكماً على لبنان ، فانتبه السر ريتشارد وود السفير الإنكليزي للأمر ، فكتب إلى سليم باشا والي صيدا في ٢٨ تشرين الأول سنة ١٨٤١ يحذره من نتائج هذا العمل قائلاً : لتتيقن دولتكم أن أهالي جبل لبنان بأجمعهم لا يسمحون مطلقاً بأن يتولى إدارة بلادهم أحد الباشوات، لأن ذلك مخالف لامتيازاتهم القديمة التي شاء الباب العالي تأييدها حديثاً . ومن ثمة لا يبعد أن يعارضوا في تنصيب علي باشا. فإذا ما هاجموه أو طردوه من الجبل يلتحق بشرف الباب العالي غضاضة[2]... »

---

١ – حتي . تاريخ العرب ج ٣ ص ٨٦٤ .

٢ – المحررات السياسية ج ١ ص ٦٩ .

ولكن الاتراك حوّلوا أنظارهم إلى وسيلة أخرى علهم يفلحون في القضاء على استقلال لبنان . فسعوا لإقناع اللبنانيين بدمج لبنان في الدولة . قال الشدياق ، وهو شاهد عيان لتلك الحوادث ، إن اللبنانيين «قدموا معروضات الى الدولة وإلى وكلاء الملوك الأربعة في اسلامبول ... ثم أخذ مصطفى باشا يتملق النصارى ليرتضوا بولاية الدولة ، فأبوا [1] » .

إنما تمكن مصطفى باشا بدهائه من حمل بشير الثالث على الذهاب إلى اسطنبول . وما ان غادر بشير الثالث لبنان حتى فوجىء اللبنانيون بفرمان بتاريخ ١٥ كانون الثاني سنة ١٨٤٢ عيّن بموجبه عمر باشا النمساوي حاكماً على لبنان . وهكذا ضرب بتحذير ريتشارد وود عرض الحائط .

فاستاء اللبنانيون ورفعوا الاحتجاجات إلى الدول الكبرى . فاضطر صارم افندي ناظر الخارجية أن يعلن في ١٧ اذار من السنة نفسها عدم تمسك الباب العالي ببقاء عمر باشا والياً على لبنان . ولكنه لم يُقله ، بل عمل على تقوية مركزه . فهبّ اللبنانيون معلنين الثورة . آنئذ رأى العثمانيون أن لا فائدة من التشبث بإبقاء عمر باشا فعزلوه في أيلول سنة ١٨٤٢ وأعلنوا اعترافهم بحق اللبنانيين بانتخاب حاكم لهم .

أعلنوا ذلك ولم يكفّوا في الخفاء ، عن محاربة إعادة الشهابيين إلى الحكم . فهم لم يفتحوا باب الفتنة ليعودوا ويوصدوه . فاختلفوا إذ ذاك مع بعض الدول الأوروبية إلى أن تم الاتفاق على تقسيم

---

١ - الشدياق ج ٢ ص ٢٧١

الجبل إلى قائمقاميتين: نصرانية وعليها أمير مسيحي من غير الشهابيين ودرزية وعليها أمير درزي. ذلك لأن العثمانيين أدركوا، بعد التجربة، أنه «يتعذر إنكار حق اللبنانيين الثابت بإدارة شؤونهم الداخلية على يد ولاتهم الوطنيين[1]...». وأعطي باشا صيدا بموجب اتفاق ٧ كانون الأول ١٨٤٢ حق تعيين القائمقامين[2].

ثم ورد فرمان سلطاني يقضي بفصل جبيل وملحقاتها عن لبنان وإلحاقها بطرابلس. فرفع المطران نقولا مراد في ٢٩ كانون الثاني ١٩٤٣[3] احتجاجاً إلى ممثلي الدول الخمس في الآستانة. فاهتمت الدول له وتدخلت في الأمر. فاعادت السلطات التركية بلاد جبيل وملحقاتها إلى لبنان[4].

كان هدف العثمانيين إظهار اللبنانيين للأوروبيين بمظهر من لا يستحق أن يحكم نفسه بنفسه، فتابعوا سياسة «فرّق تسد» باثارة اللبنانيين بعضهم ضد بعض، فكانت فتنة ١٨٤٥ التي أتى على أثرها شكيب أفندي وزير الخارجية العثمانية مبعوث السلطان عبد المجيد. فسنّ نظاماً ضاقت بموجبه صلاحيات القائمقامين وحصر أكثرها بباشا صيدا[5].

ولم يكتفِ العثمانيون بتقسيم لبنان إلى شقّين دينيين بل

---

١ - المحررات السياسية ج ١ ص ١٢٥.
٢ - المحررات السياسية ص ١٠٨ الى ١١٠. Jouplain p. 338
٣ - المحررات السياسية ج ١ ص ١١٥ الى ١١٧.
٤ - المحررات السياسية ج ١ ص ١٢٠.
٥ - Lammens T II. p. 176

راحوا يفتعلون ما يذكي نار الاضطراب ، مثاله أن الأتراك عمدوا إلى تقوية مركز أحد القائمقامين المسيحيين في حين أن سكان القائمقامية طالبوا مراراً بإقالته. ويقول في ذلك المسيو مور قنصل انكلترة العام في بيروت : « أما السبب الآخر في عضد الأتراك للقائمقام فهو السياسة التي انتهجوها ولم يحيدوا عنها وقوامها توجيه المساعي إلى إبقاء الاضطراب في لبنان للتذرع به لالغاء إدارة حكمه الحالية . وهم ينهجون مثل هذا النهج في القائمقامية الدرزية [1] » .

حركة طانيوس شاهين الشعبية

وفيما الفوضى السياسية مهيمنة على جو لبنان في تلك الحقبة ، قامت سنة ١٨٥٨ حركة شعبية هامة هي الحركة الاجتماعية الاولى من نوعها في الشرق . قام بأعبائها نفر من الفلاحين في مقاطعة كسروان بقيادة أحدهم طانيوس شاهين. « كانت حركة طانيوس شاهين حركة اجتماعية تهدف في خطوطها الكبرى الى ما تنادي به معظم دول الشرق الأوسط اليوم ، إذ كان دستورها العملي مثلث الغايات وهو :

١ – انشاء جمهورية لبنانية .
٢ – تطبيق المساواة الاجتماعية .
٣ – إيجاد مساواة اقتصادية [2] » .

---

١ - المحررات السياسية ج ١ ص ٢٩٤
٢ - منشورات جمعية الدراسات التاريخية والجغرافية في لبنان ـ محمد مكي ص ٥٦

تلك هي أهداف طانيوس شاهين ورفاقه . ولكن العثمانيين، وفي طليعتهم خورشيد باشا ، نظروا إلى هذه الحركة ، وهم الذين أمدوها بمقومات الحياة ، نظرتهم إلى عامل جديد من العوامل التي يأملون بواسطتها تصديع صفوف اللبنانيين ليسهل عليهم فرض التنظيمات التي يرتأون .

وبينما كان شاهين ورفاقه يرون في فكرة الجمهورية « حلاً منطقياً لفوضى السياسة اللبنانية[1] » . ويصدّرون القرارات والقوانين « باسم الجمهورية اللبنانية[2] » ، كان العثمانيون مرتاحين إلى نجاحهم في خلق هوة بين الشعب وزعمائه عساهم ينجحون ، وسط هذه الاضطرابات ، في القضاء على امتيازات لبنان . مما حدا بكبار الشخصيات اللبنانية والقناصل الأجانب إلى الوقوف في وجه هذه الحركة التي لم تخفِ غايات العثمانيين منها . فكتب المسيو مور بتاريخ ٣٠ حزيران سنة ١٨٥٩ إلى السر هنري بولوفر يقول : « يخيّل لي أن الحكومة تقصد بسكوتها توسيع دائرة الخلاف بين الشعب ورؤسائه أصحاب الاقطاع ... بل تريد إبقاء جرثومة الهياج حية بحيث تضطر الشعب وزعماءه إلى طلب والٍ تركي والانضمام إلى الحكومة التركية[3] ... » .

وكان مور قد كتب قبل ذلك إلى الكونت مالسبري في ٢٧

---

١ - منشورات جمعية الدراسات التاريخية والجغرافية في لبنان - محمد مكي ص ٥٧ .

٢ - المصدر نفسه ص ٥٨

٣ - المحررات السياسية ج ١ ص ٣٦٤

ايار ١٨٥٨ يقول: «أما المقصود من سلوك خورشيد باشا في المسألة اللبنانية ونياته التي استشففتها فهي نيات الحكومة التركية في أن تسود الاضطرابات في جبل لبنان على أن تتمكن في وسط القلاقل العامة من إلغاء نظامات لبنان التي لا تفتو عن النظر إليها بعين الاستياء [١]».

---

١ - المحررات السياسية ج ١ ص ٣٠٦

الفصل الرابع

نظام لبنان الاساسي

*

اللجنة الدولية وتصغير لبنان

كان ما كان من حركة ١٨٦٠ المشؤومة التي اجتمعت على أثرها لجنة دولية في بيروت لدرس حالة لبنان ووضع حل لمشكلته[1]. ولكن انّى للحق أن يأخذ مجراه وقد تزاحمت مصالح فرقاء هذه اللجنة وتضاربت ؟ ومن جهة أخرى، أضاعت اللجنة وقتها في « البحث في أسباب الحوادث التي وقعت في لبنان وتقدير الخسائر التي ألمّت بالأهالي[2] ». وهكذا لم تصل إلى مهمتها الجوهرية إلا وقد سئم المجتمعون الجدل فجاء نظامهم في ٩ حزيران ١٨٦١ المعدل في ٦ حزيران ١٨٦٤ أعرجاً مبتورا.

هذا النظام جعل الطائفة قاعدة حكومية في شتى المصالح، واستباح الظلم بحصر لبنان ضمن حدود خانقة، إذ سلخ عنه مدناً وسهولاً كبيروت والبقاع[3]...

نتساءل : إن الخلاف (إذا كان ثمة من خلاف) قد وقع بين

---

١ - المحررات السياسية ج ٢ « صكوك الجلسات »
٢ - يوسف السودا - في سبيل الاستقلال ص٢٦٦
٣ - Lammens, T II, p. 188

الدروز والنصارى [1]. والدروز يقطنون الجبل لا الساحل، فلماذا إذن سلخوا عن لبنان كبرى مدنه الساحلية ؟

أما التاريخ فيجيب: كان المفاوضون على اطلاع بأحوال البلاد، إنما مصالح دولهم ولا سيما التنافس بين إنكلترة وفرنسة، خدمت مصالح الدولة العثمانية، فبترت من لبنان أطرافه بغية خنق اقتصاده فاستسلامه كما كان يأمل العثمانيون. إلا أن الاستقلال لم يزُل بل ازداد مناعة لاستماتة وتشبث أبنائه ببقائه [2].

دين وجنسية المتصرف

حدّد البروتوكول بمادته الأولى المسيحية دين الحاكم. ولم

---

١ ـ كتب اللورد دفرين عن علاقة الدروز بالمسيحيين، قال:

اولاً، ان الوصل بين الدروز والمسيحيين ليس صعبا.

« ثانيا، ان عداوتهما ليست دينية بل حزبية.

ثالثا، ان مصالحهم الاجتماعية متماثلة.

وفي رأي جميع الذين خبروا البلاد انه اذا وجدت حكومة موافقة واحيل دون كل دسيسة تولد الخلاف بينهما، فالدروز والمسيحيون يميلون فطرة الى المعيشة على اتم وفاق ». من اللورد دوفرين الى السير بولوفر في ١٤ تشرين الثاني ١٨٦٠ ـ المحررات السياسية ج ٣ ص ٤٠

٢ ـ « بعد انتهاء اعمال اللجنة الدولية وتعيين المتصرف على لبنان. وضع الصدر الاعظم بايعاز فؤاد باشا تنظيماً جديدا لاقاليم السلطنة. كان من اهم مواده تقسيم كل ولاية الى عدة متصرفيات تخضع لسلطة الوالي. وكان يقصد من وراء ذلك تحقير متصرف لبنان وجعله في الظاهر ادنى من مقام الوالي ».

« مزهر ـ ص ٦٨٦ ـ Lammens, T II, p. 191.192

ينص صراحة على تعيينه من لبنان أو من الخارج . كان رأي العثمانيين أن يكون عثمانياً غير لبناني ، ورأي الفرنسيين أن يكون لبنانياً. وبعد نقاش طويل اتفقوا على نص لا يوجب تعيين حاكم لبناني أو عثماني غير لبناني . وهكذا كان . فجاء النص كما يلي: «يتولى إدارة لبنان حاكم مسيحي ينصبه الباب العالي ويكون مرجعه إليه رأساً [1] » . والتعيين لا يصبح نافذاً إلا بعد موافقة الدول الضامنة للبروتوكول [2] .

ولكن المناورات العثمانية في عهد المتصرفية نجحت دوماً وأبعدت اللبنانيين عن تسلم الحكم . ولما كان المتصرف غريباً ومدته محدودة ، لم يراع مصلحة البلاد بقدر مراعاته لمصلحته الخاصة . ذلك أنه « استخدم زمن وجوده في لبنان واسطة لضمان مستقبله في الدولة . فلم يكن يقضي أمراً في الجبل إلا إذا وثق من ارتياح الباب العالي إليه . من أجل ذلك كان دأب المتصرفين الذين توالوا على لبنان [3] السعي إلى الافتئات على النظام والاعتداء على امتيازاته بدلاً من العمل على توسيعها ، فمن ذلك أن فرنقو باشا تنازل للدولة عن إيرادات البقاع ، ورستم باشا تخلى لها عن فرق الميزانية، وواصه باشا قلب نظام القضاء واتبعه بعدلية الدولة، ويوسف باشا فرنقو أدخل قانون المطبوعات وقانون تذاكر النفوس

---

١ - L . de Baudicour p. 254

٢ - L . de Baudicour p. 262

٣ - ما عدا داود باشا .

رغم احتجاج اللبنانيين الشديد [1] ».

ثورة يوسف بك كرم

ولما كانت الكرامة اللبنانية تأبى القبول بحاكم أجنبي، قام يوسف بك كرم يناصب المتصرف داود باشا العداء ويقلق راحته ليأتي تعديل البروتوكول [2] بمتصرف لبناني تحقيقاً لرغبات اللبنانيين. ولكنه فشل واضطر إلى مغادرة البلاد. وفي غربته سعى إلى إعداد حملة مؤلفة من الصرب واليونان لانقاذ بلاده. أما الدولة العثمانية فتنبهت لنواياه فبثت العيون والارصاد بحراً وبراً وراحت البرقيات تتوارد كل يوم على رجال الحكومة في لبنان للاشراف على المرافىء. واستعانت عليه بسفير فرنسة إذ أقنعته بأن كرماً يود إعادة الاضطرابات إلى لبنان. ولكن كرماً لم ييأس بعد فشل هذا المشروع فقام بإعداد ثورة أخرى. فاتصل بالأمير عبد القادر الجزائري وبعض زعماء العرب. إلا أن مشاريعه، والظروف هذه، لم يكتب لها النجاح [3].

والغريب أن تثار حول بطل لبناني هذه سيرته شائعة بلغت

---

١ - في سبيل الاستقلال، ص ٢٧٦ - ٢٧٧

٢ - كان قد قر رأي اللجنة سنة ١٨٦١ على تعديل البروتوكول اذا لزم الامر على ضوء الاختبارات التي ستتوفر عند تطبيقه خلال سنوات ثلاث. وبالفعل عدل البروتوكول ولكن دون تعديل بما يتعلق بجنسية الحاكم.

٣ - مزهر ص ٧٧٩.

الباب العالي، مفادها أن كرم ما يسعى لأخذ الجنسية الإيطالية، شائعة نفاها يوسف كرم على مسمع المطران يوسف الدبس بقوله : أنا لبناني ما دمت حياً . كما أنه رفض عرض الباب العالي بتنصيبه متصرفاً على إحدى المدن السورية إذا هو تنازل عن الرجوع إلى لبنان [1] .

حفظ الامن

« أثبت النظام في المادة الرابعة عشرة مبدأ استقلال لبنان الداخلي في مسألة الجندية بفصله إياها عن جيش الدولة ... وقد علقت الدول على استقلال الجندية أهمية خاصة فقررت ... أنه لا يجوز لعساكر الدولة دخول لبنان إلا برأي مجلس الادارة، فجعلت رأي المجلس إلزامياً في هذه المسألة . وليس برهان أقوى على استقلال لبنان من تحريم أرضه على جيش الدولة خلافاً لما هو متبع في سائر الولايات [2] » .

القضاء في عهد المتصرفية

أما القضاء فكان مستقلاً عن محاكم الولايات العثمانية. والقضاة لا يعزلون إلا بعد تحقيق يجريه مجلس الادارة .

---

١ - مزهر ص ٧٨١

٢ - في سبيل الاستقلال ص ٣٠٦ - ٣٠٧

« ولم يك استقلال العدلية في لبنان ليرضي الدولة، فأشارت على المتصرفين أن يعملوا جهدهم بالغائه وبتعليق قضاء لبنان بعدلية الدولة بأي شكل كان .

« فقام بأعباء هذه المهمة واصه باشا فغيّر ترتيب المحاكم اللبنانية وجعلها كمحاكم الولايات .. فأدخل على البلاد بدعة التمييز ... فاحتج عقلاء لبنان لدى الدول على هذا الخرق للنظام. فاثبتت الدول احتجاجهم، وأيدته في أول فرصة سنحت أي لدى تعيين نعوم باشا خلفاً لواصه باشا سنة ١٨٩٢ فجاء في بروتوكول تعيينه ما يأتي :

« ورأى ممثلوا الدول أن يحولوا نظر الباب العالي إلى بعض تغييرات أدخلت على نظام لبنان ويطلبوا منه أن يتعهد في المستقبل بتنفيذ نصوصه مع السهر خصوصاً على ما يأتي :

« ١ — ......

« ٢ — أن يعاد تنظيم القضاء المشكل في نظام ١٨٦٤ والذي غيّره حكام لبنان بغير موافقة الدول طبقاً للمواد ٦ و٧ و ١٠ من النظام المذكور ...

« وقد تعهدت الدولة باحترام النظام والرجوع إلى نصوصه .

« فأعلن دولتلو سعيد باشا أن الباب العالي يعتبر الطلب المذكور وبناءً عليه سيوصي الحاكم بأن يحترم نظام لبنان فينفذ بأمانة كل نصوصه[1] » .

---

١ - في سبيل الاستقلال ، ص ٣٠٣ وما يليها .

لنكون فكرة واضحة عن استقلال لبنان واستقلال قضائه في تلك الحقبة ، نروي الحادثة التالية في ولاية نعوم باشا[1] .

« كان أحد القائمقامين قد استأنف حكماً إلى مجلس شورى الدولة . فوصلت الأوراق خطأ الى ولاية بيروت . فطلب مجلس ادارة الولاية ملف الدعوى . قال الراوي : وما ان وصل الطلب الى مجلس ادارة الجبل حتى هاج أعضاؤه وماجوا . وكانوا في بيت الدين ،فدعوا نعوم باشا ليرئس جلسة مستعجلة ، فاعتذر لهم بانه يكتب بريد الآستانة (وهو يرسل مرة واحدة كل اسبوع). فأجابوه بأنهم سينتظرونه حتى الليل . وأدرك المتصرف خطورة الموقف فجاء إلى قاعة المجلس يستطلع الواقع . وأخبروه مضمون طلب مجلس ادارة الولاية وهم يرغون ويزبدون . ورأى نعوم باشا أن يسكن من جأش الأعضاء . فكان هياجهم يزداد فوراناً وهم يصيحون : إن لبنان بلد مستقل ، وله بروتوكول خاص وضعته ست دول أوروبية . وهذا البروتوكول ينص على أن حكومة الجبل لا تعرف مرجعاً إلا الباب العالي وحده (رئاسة مجلس الوزراء) . فكل تدبير لا ينطبق على هذا النص معناه المس باستقلال لبنان . ولما كان الشعب قد أرسلنا إلى هذا المجلس لنحافظ على امتيازات وطنه وعلى استقلاله فنحن ننسحب لنعود إلى الشعب ونخبره بما جرى... وانسحب أعضاء المجلس الكبير. وعبثاً حاول الحاكم أن يهدىء من روعهم . وأخيراً ذهب بنفسه إلى غرفة البرق في بيت الدين وطلب الاتصال فوراً بالآستانة . وأخبر

---

١ - مجلة «اوراق لبنانية » - العدد الثاني من السنة الثانية .

الصدر الأعظم تفصيل الحادث .

« وفي اليوم الثاني صباحاً ، كان جندي يطوف على بيوت أعضاء مجلس الإدارة وفي يده كتاب من المتصرف يقول لهم فيه : « وردت في هذا الليل إلى جانب هذه المتصرفية برقية خطيرة من المابين الهمايوني (رئيس ديوان السلطان) هذا نصها :

« ان استقلال لبنان منحة رضى خاص من جلالة مولانا السلطان لأبنائه سكان الجبل ، وهو لا يريد استرجاعها مطلقاً. وقد صدرت الأوامر بسحب أوراق الدعوى من مجلس الولاية فبلغوا أعضاء مجلس إدارة لبنان ».

« ثم كتب نعوم باشا بخطه وبالحبر الأحمر تحت هذه البرقية : « أرجو أن تعتبروا الحادثة منتهية ، ولكم مني عهد الشرف بأن استقلال الجبل لا يمس في أثناء حاكميتي . الإمضاء : نعوم ».

هذا هو بروتوكول ١٨٦٤ .

فهو ، على الرغم من مساوئه ومآخذنا العديدة عليه ، اعلان رسمي لاستقلال لبنان استقلالاً اعترفت به سبع دول كانت سيدة المواقف السياسية آنذاك. « وقد عدّ هذا الحكم في لبنان كأحسن مثال للاستقلال في مقاطعة تركية[١] ». فأي منطقة عثمانية غير لبنان اعترفت دول أوروبة باستقلالها وضمنته ؟

المطالبة باعادة المناطق المسلوخة

وما أن مضى على تعديل البروتوكول أربع سنوات حتى أحس

---

١ - حتي . تاريخ العرب . ج ٣ ص ٨٦٦ .

أبناء المقاطعات المسلوخة بوضعهم الشاذ ، فطلب بعضهم ، بمن فيهم أبناء صيدا[1] ، اعادتهم الى لبنان. وحمل داود باشا أماني اللبنانيين معه إلى اسطنبول . ولكن حيلة فؤاد باشا جازت على المتصرف ففقد منصبه وفقد لبنان به مناصراً كبيراً لقضاياه ! فقد أشار عليه فؤاد باشا بتقديم استقالته إذا لم تلب الدولة مطالب الأهلين فيحرج الدولة فتضطر إلى تلبيتها ، ولكن ما أن قدم المتصرف استقالته حتى قبلت فوراً .

سئم اللبنانيون الاضطرابات وقد فشلت مساعيهم ، فركنوا إلى الهدوء بانتظار المناسبات . فكان للبنان فترة أمن قال فيها المثل : نيّال من له مرقد عنزة في جبل لبنان .

---

١ - G . Samné , p 213

الفصل الخامس

تحقيق الوحدة اللبنانية

*

الاحزاب اللبنانية ومطالب اللبنانيين في مطلع القرن العشرين

كان لبنان في مستهل القرن العشرين لا يزال متمتعاً بنظامه الخاص . والمتصرفون يتصرفون كعادتهم على هواهم أو بحسب ما يمليه عليهم أسيادهم في اسطنبول ، الأمر الذي أشعل نار الحمية في نفوس المخلصين ، فتنادوا إلى الذود عن امتيازاتهم ودرء الاخطار الخارجية عنها ووضع حد لعبث المتصرفين .

وفيما الجهود تبذل ، في الوطن وفي المهجر ، لترسيخ قدم الاستقلال ، إذا بأسلاك البرق سنة ١٩٠٨ تحمل نبأ تهتز له الامبراطورية العثمانية ويلقاه الناس بالأهازيج والأفراح: هو الدستور قد أعلنته الدولة العلية[١] .

لا سيادة بعد الآن إلا للقانون ، فالجميع سواسية دونما اعتبار للجنس أو للدين : هذا ما أعلنه الدستور الجديد . ولكنه أوجب أيضاً على كل ولاية عثمانية أن ترسل إلى مجلس المبعوثان[٢] مندوبين عنها . فخطر لبعض العملاء العثمانيين ، من لبنانيين وسوريين ، أن يطالبوا بضم لبنان إلى الولايات العثمانية وإرسال مندوبين عنه إلى مجلس المبعوثان . فانتفض لهذه المحاولة مجلس الإدارة اللبناني

---

١ - Lammens T II - p. 205

٢ - اي مجلس النواب العثماني .

والمخلصون اللبنانيون ووقفوا سداً منيعاً في وجه هذا التيار الخطر فكتب لهم النجاح في المحافظة على كيانهم وامتيازاتهم .

كان لهذه المحاولة أثر بليغ في نفوس اللبنانيين فشعروا بأن المطامع ما تزال تحيط بهم ، فنظموا صفوفهم في جمعيات سياسية كانت قد انشئت منذ عهد مظفر باشا ، وأسسوا جمعيات أخرى في متصرفية الجبل وفي بيروت منها : الجامعة اللبنانية وجمعية الأرزة[1] وجمعية الدفاع عن حقوق لبنان الكبير وجمعية الترقي اللبنانية في بيروت . هدفت بعضها إلى المحافظة على امتيازات لبنان ، وبعضها الآخر الى إعادة لبنان إلى حدوده الأصلية .

ولما اشتد الخناق على حرية الفكر والقلم ، التجأ المثقفون إلى مصر[2] وغيرها من بلدان الاغتراب هرباً من الجور العثماني حيث انشأوا احزاباً قوية تطالب بإعادة لبنان إلى حدوده الطبيعية والتاريخية بإرجاع الأراضي التي سلخها عنه بروتوكول ١٨٦٤ . وأهم هذه الأحزاب ، النهضة اللبنانية في نيويورك والبرازيل ، الحزب الوطني اللبناني ، الاتحاد اللبناني في مصر و كندا والجمهورية الفضية ، والجمعية اللبنانية في باريس[3] .

وعلى سبيل المثال لا الحصر ، نذكر فيما يلي جزءاً من عريضة بلدية زحلة ورسالة لقنصل فرنسة في دمشق وبعض بنود أهداف حزبين كبيرين هما: الحزب الوطني اللبناني وحزب الاتحاد اللبناني ،

---

١ - رئيسها سليم بك المعوشي - مزهر ص ٨٢٣ .

٢ - كان للسلطان العثماني على مصر سيادة اسمية فقط .

٣ - استقلال لبنان والاتحاد اللبناني في الاسكندرية - ص ٧ .

ليدرك الجميع أن مطلب إعادة لبنان إلى حدوده الأصلية إنما هو مطلب لبناني في الجوهر والأساس.

قدمت بلدية زحلة إلى الدول في آذار ١٩١٣ عريضة[1] بعنوان « البقاع للبنانيين » وفيها من ضمن الأدلة التاريخية على أن البقاع كان داخلاً في الإمارة اللبنانية ما يأتي:

« ان الأمير فخر الدين الثاني جفف في أثناء حكمه مستنقعات عميّق الواقعة في اقطاعة البقاع ... وبعد سنة ١٧١١ على أثر موقعة عين داره استعمر اللمعيون البقاع لأنه دخل في إقطاعهم وعمروا حاضرته زحله.

« ومن المتعارف أن الأمير بشير الشهابي الكبير جفف مستنقعات عمّيق ثانية وبنى المعلقة، كرسيّ حكومة البقاع اليوم، على انقاض بلدة الكرك. ومن الحقائق التاريخية أن الأمير بشير كان يسمّي بنفسه على البقاع حكاماً، فهم حيمور أحد سكان جب جنين. ويؤيد ذلك أنه في سنة ١٨٢٠ أرسل الأمير بشير ولده الأمير خليل إلى البقاع فطرد حسن آغا العبد الذي عاث في البقاع وزحله، وتولى حكم البقاع... وقد بنى هذا الأمير أيضاً سراي المعلّقة التي أقام فيها ابراهيم باشا المصري وكبار قواده وسمى عهدئذ من لدنه وكيلاً لحكم البقاع وزحله. ولا يزال القسم الكبير من أملاك البقاع يسمى إلى الآن « بالشهابية » نسبة إلى الأمير بشير.

« وفي عهد القائمقاميتين اللتين تولى القائمقامية المسيحية منهما الأمير حيدر اسمعيل اللمعي المتوفي سنة ١٨٥٤، كانت زحلة تسمّى مدينة

---

١ - في سبيل الاستقلال ص ٢٩٢.

البقاع . وكانت حدود هذه القائمقامية عهدئذ من شاطىء المتوسط غرباً حتى سطح انتيلبان شرقاً، وبلاد حمص والحصن وعكار شمالاً. وكانت طريق الشام الفاصل الجنوبي بين القائمقاميتين . وعندما نشبت فتنة الستين كان البقاع تابعاً بكليته للبنان ففر أهله إلى زحله.. وكانت جميع علائق البقاع لبنانية محضة ... ورأى داود باشا أن الضيق سيحدو باللبنانيين إلى المهاجرة إذا لم يوسع نطاق جبلهم إلى ما وراء البقاع اللبناني أيضاً فسعى بتختيم عرائض من مرجعيون ووادي التيم ومدينة بيروت وبعض المدن الساحلية بطلب انضمامها إلى الجبل للتمتع بامتيازاته الدولية . وسافر إلى الآستانة وعرض للباب العالي هذا الطلب سنة ١٨٦٨ فحال فؤاد باشا دون هذه الأمنية وكان ذلك سبباً في عزل داود باشا ... وفي سنة ١٨٧١ تمكن وكيل الولاية نجيب بك بدرخان من سلخ البقاع وأضيفت إلى ولاية سورية ».

وقد أرسلت بلدية زحله لائحتها هذه إلى بلديات لبنان الأخرى لأخذ رأيها فبادر اللبنانيون عموماً إلى الانضمام إلى إخوانهم الزحليين لطلب رد البقاع إلى لبنان .

ولم تكن هذه العريضة لتعبر عن مطلب الزحليين وبلديات لبنان فقط ، بل عن حقيقة أماني البقاعيين عموماً . يظهر ذلك بوضوح من رسالة بتاريخ ١٥ كانون الثاني سنة ١٩١٣ بعث بها قنصل فرنسة العام في دمشق إلى رئيسه المسيو بونبار . يقول القنصل إن نخله مطران باشا زاره وأطلعه على ما يلي :

« لقد قررنا المطالبة بضم بعلبك وسهل البقاع الى لبنان وهما

جغرافيان مرتبطتان به ... اننا جميعاً، مسلمون ونصارى متفقون على ذلك ... فالزعيم المتوالي أسعد بك حيدر ، الرجل الأكثر نفوذاً في المنطقة، وعبد الغني الرفاعي زعيم المسلمين، وانا قد قررنا ضم بلدنا إلى لبنان[١] ».

ويقول ندره مطران[٢] : « ان سكان البقاع أنفسهم يريدون الانفصال عن الولاية والانضمام إلى لبنان[٣] » . ويذكر أيضاً أنه (في الوقت الذي يضع فيه كتابه : سورية الغد) استلم « منشوراً من مؤتمر لبناني سيعقد في نيويورك في أول أيلول ١٩١٥ ... وهدف هذا المؤتمر السعي لجعل لبنان امارة دستورية مستقلة تماماً[٤] »

أما الحزب الوطني اللبناني فيستهل برنامجه بمطالبته « باستقلال لبنان الكبير وإرجاع حدوده الطبيعية والتاريخية » . ويقول : « لقد اتفق اللبنانيون بالإجماع على مسئلة تكوين لبنان بحدوده الطبيعية لأسباب جغرافية وجنسية وتاريخية . وهذه المسئلة الأولية والحيوية هي غاية اللبنانيين على اختلاف أحزابهم وقد اتخذها كل حزب أساساً لبرنامجه وقاعدة لمطالبه[٥] ...»

ويعبر أوغست باشا أديب، الناطق باسم حزب الاتحاد اللبناني،

---

١ - La Vérité sur la question Syrienne
الرسالة مطبوعة بالزنكوغراف في الكتاب المذكور .

٢ - عرف عن ندره مطران تحمسه للوحدة السورية .

٣ - Nadra Moutran p. 133

٤ - Nadra Moutran p. 133

٥ - الحزب الوطني اللبناني - البرنامج والقانون - ص ٣

عن أماني اللبنانيين في جواب عن تسآله عن مصير لبنان بعد الحرب فيقول – وهدفه تحليل هذه القضية وما يمكن أن تؤول إليه –:
« أما إدماج لبنان في سوريا بعد أن تجعل ولايات متحدة فأمر لا ينظر إليه اللبنانيون بعين الرضى مطلقاً لأن لبنان طالما تمتع بامتيازات خصوصية وعاش عيشة حرة مع أن سوريا لم تكن إلا ولاية من ولايات الدولة العثمانية أو الدول والممالك التي اخضعتها لحكمها قبل الفتح العثماني[1] ».

ويقول أيضاً: « ولا يتيسر أيضاً للبنانيين أن يعيشوا احراراً ويتدرجوا في سبيل الرقي والفلاح إلا إذا نالوا علاوة على الاستقلال السياسي توسيع لبنان إلى حدوده الطبيعية ... وحدود لبنان الطبيعية هي في الشمال النهر الكبير وفي الجنوب خط يمتد من رأس الناقورة إلى بحيرة الحولة وفي المغرب البحر الأبيض المتوسط وفي الشرق السفح الشرقي لجبل انتيلبان (الجبل الشرقي[2]) ».

وفيما كان اللبنانيون يضاعفون مساعيهم، على الصعيدين الفكري والسياسي، لاستعادة وحدة وطنهم واستقلالهم الناجز، كان رئيس المؤتمر العربي (المؤتمر المنعقد في باريس من ١٨ إلى ٢٣ حزيران سنة ١٩١٣) يصرح بأن المؤتمرين لن يطلبوا انفصالاً عن الدولة العثمانية[3] . هذا ولقد أعلن أحمد طباره، أحدهم، قائلاً:
« لقد صرخنا بملء أفواهنا ونصرخ الآن وفي كل زمان ومكان

---

١ - اوغست باشا اديب - ص ١١٠
٢ - اوغست باشا اديب - ص ١١٢
٣ - المؤتمر العربي الاول - ص ١٩

انا نشأنا تحت ظل الهلال العثماني ونريد أن نعيش تحت ظله ونموت تحت ظله . وأعني « بنحن » العرب. وأعني بالعرب كل ناطق بالضاد لا فرق في ذلك بين المسلم وغير المسلم . لا نرضى من دولتنا العلية بديلًا. واننا نفديها بأرواحنا وأموالنا وإنما نطلب لها الحياة السعيدة والعيشة الرضية لنعيش وإياها في سعادة وهناء ورخاء على قاعدة الاشتراك في الحكم وتبادل الحقوق[1] » .

الاحتلال بعد الحرب العالمية الاولى

وقعت الحرب العالمية الأولى فأذاقت لبنان الأمرين ... مشانق نصبت وأرواح للأحرار زهقت في سبيل لبنان .

ورأى الإنكليز في مساعدة تأتيهم في قلب الإمبراطورية العثمانية إسراعاً في القضاء على « الرجل المريض » فاتصلوا بالحسين شريف مكة وأقنعوه بالانتفاض على الأتراك والانضمام إلى الحلفاء.

على الأثر ، تبادل الشريف حسين مع السر هنري مكماهون – المعتمد البريطاني يومئذ في مصر – تلك الرسائل التاريخية التي طلب في احداها[2] أن يوافق الانكليز على الاقتراح التالي : « أن إنكلترا تعترف باستقلال البلاد العربية من مرسين – ادنة ، حتى الخليج الفارسي شمالاً ، ومن بلاد فارس (إيران) حتى خليج البصرة شرقاً . ومن المحيط الهندي للجزيرة جنوباً (باستثناء عدن

---

١ – امين السيد ج ١ ص ٣٦ واسعد داغر ص ٦٤

٢ – رسالة من الشريف حسين الى مكماهون مؤرخة في ١٤ تموز ١٩١٥

التي تبقى كما هي) ومن البحر الأحمر المتوسط حتى سينا غرباً [1]».

تردد السر مكماهون في بحث قضية الحدود ، إلا أن الشريف حسين رفض دخول الحرب قبل الاتفاق عليها ، إلى أن انتهت المحادثات بتنازل الحسين عن ضم مرسين وادنة إلى المملكة العربية [2]، وإرجاء مسئلة لبنان إلى ما بعد الحرب [3] و [4].

ثم تطورت الأمور وتم الاتفاق بين إنكلترة وفرنسة على اقتسام ميراث الدولة العلية المحتضرة مناطق نفوذ ، فوقع مارك سايكس وجورج بيكو ، مندوبا الدولتين ، الاتفاق المعروف باسميهما بتاريخ ١٦ أيار ١٩١٦ [5] .

انهزم العثمانيون فدخل الجنرال اللنبي البلاد وأقام الكولونيل بياباب حاكماً إدارياً عاماً على المنطقة الغربية [6] . وأطلق لقب « حكومات الجيش لأراضي العدو المحتلة » على السلطات التي حلت

---

١ - رسالة في الاتحاد ص ٨

٢ - المصدر نفسه ص ٩

٣ - اسعد داغر ص ٨٢

٤ - راجع خريطة الدولة العربية التي وعد بها الشريف حسين في كتاب « رسالة في الاتحاد » ص ٢٨ تلاحظ ان لبنان بكامله وجبل العلويين لم يدخلا في الدولة الموعود بها .

٥ - رسالة في الاتحاد ص ١٠ - انظر الخريطة ص ١١ .

٦ - بتاريخ ٨ تشرين الثاني ١٩١٨ ، تم الاتفاق بين الفرنسيين والانكليز على جعل المنطقة « الزرقاء » تحت النفوذ الفرنسي. والمنطقة الزرقاء هي المنطقة الغربية التي تضم: متصرفية جبل لبنان ولواء بيروت ولوائي طرابلس واللاذقية وقضائي انطاكية واسكندرونة .

محل السلطات العثمانية في المناطق المحررة .

أثارت هذه التسمية مجلس الإدارة اللبناني فقدم احتجاجاً إلى السلطات الحليفة تلقى جواباً عليه البرقية التالية :

« إلى حاكم جبل لبنان المستقل ، ليبلغ إلى المجلس الإداري ،

« لما كان جبل لبنان مستقلاً ولم يحارب في صفوف الأعداء بل ساعد الحلفاء مادياً ومعنوياً وناله كثير من الويلات الهائلة بسبب هذه المساعدة . فاننا نعترف بأنه لا يعتبر من أراضي العدو المحتلة بل هو منطقة محررة من النير التركي اغتصبت حقوقها ولا يشمله الاحتلال العسكري أبداً . فبلغوا ذلك إلى عموم اللبنانيين [1] » .

وتلك البرقية كانت اعترافاً من الحلفاء بمركز لبنان الممتاز الذي لم يكن لسورية ولا لأي قسم آخر من الولايات العثمانية — عدا الحجاز .

الوفد اللبناني الاول الى مؤتمر الصلح
ونشاط الجالية اللبنانية في باريس

أصدر مجلس الإدارة اللبناني بتاريخ ٩ تشرين الأول سنة ١٩١٨ قراراً يطالب فيه باستقلال لبنان بحدوده الأصلية أي بإعادة ما سلخ عنه في بروتوكول ١٨٦٤ . فشكل وفد رسمي ناطق بلسان مجلس الإدارة إلى مؤتمر الصلح في باريس .

ولكن الأمير فيصل تمكن من إقناع الفرنسيين ، على جفائهم

---

١ - تقويم البشير لسنة ١٩٤٧ .

له ، بأن يعترفوا بولايته على سورية بما فيها لبنان مقابل وعد قاطع تعهد بموجبه الأمير بأن يوعز إلى الحزب العربي الدمشقي في الاعتراف بالانتداب الفرنسي * .

---

* كان سهلًا على الأمير فيصل أن يقنع الفرنسيين إذ رأوا في ذلك بسطاً لسيطرتهم أوسع جغرافياً على الشرق .

ظهر طموح الفرنسيين هذا على لسان جورج اليغ ، أحد رؤساء الوزراء ومن مشاهير وزراء البحر ، في خطبة له ضافية عن مصالح فرنسة في الشرق ، في الجمعية الجغرافية في باريس في شهر ايار سنة ١٩١٥ . هذه الخطبة سايرت مشروع الحملة على الدردنيل خطوة فخطوة . قال الوزير اليغ : « ولن يكون البحر المتوسط حراً في نظرنا ولن نظل سادته إلا إذا بقيت سورية في منطقة نفوذنا ... سورية الحقيقية التي تمتد من العريش إلى طوروس ومن الموصل الشرقية إلى شواطيء البحر » . (من كتاب « النفط مستعبد الشعوب » ص ١٣٥ — ١٣٦ . ذكرها الاستاذ قبرصي في كتابه « نحن ولبنان » ، ص ٤٤ — ٤٥)

هذا وان الفرنسيين أفسدوا للسبب نفسه خطة جمال باشا ، القائد التركي ، عند وصوله إلى سورية في أوائل الحرب ، يوم فاتح مراراً عبد الكريم الخليل رئيس المنتدى الأدبي « في أمر ثورة على حكومة اسطمبول وإقامة دولة عربية مستقلة في سورية والعراق (اسعد داغر ص ٨٦) يتولى هو السلطنة عليها (نص وثيقة سرية للخارجية الروسية نشرها البلاشفة سنة ١٩١٨) . ولقد

وفيما كانت المحادثات جارية في العاصمة الفرنسية ، عقدت الجالية اللبنانية[1] في باريس بتاريخ ٥ كانون الثاني سنة ١٩١٩ اجتماعاً هاماً وضعت فيه لجنتها أسس العمل التي نشرت في الجريدة الرسمية الفرنسية في عدد ١٥ كانون الثاني سنة ١٩١٩ .

وملخص هذه الأسس ما يلي :

– استقلال لبنان التام .

---

١ ـ تلقت الجالية اللبنانية في باريس برقيات وعرائض تأييد من جميع الاحزاب اللبنانية .

اقترحت روسية حينئذ إرسال وفد إلى مصر للاتصال سراً بجمال باشا للاتفاق معه على إضرام نار هذه الثورة التي كانت نفذت لولا معارضة فرنسة وعدم تأييد انكلترة. ذلك « ان الفرنسيين يرونها (أي يرون هذه الخطة) محققة لرغبة روسيا وحدها بالاستيلاء على المضايق واسطمبول. في حين أنها تحرمهم من البلاد التي وعدوا بها كفلسطين وسورية وقسم من مقاطعة كيليكيا ... وان الرأي العام الفرنسي أيضاً لا يمكنه أبداً التخلي عن البلاد الموعود بها كسوريا وفلسطين وكيليكيا... » (من برقية للسفير الروسي في باريس بتاريخ ٢٩ كانون الأول ١٩١٥) كما أن السفير الروسي في لندن أبلغ حكومته بتاريخ ٢٧ كانون الثاني ١٩١٦ ان الحكومة البريطانية لا تؤيد المفاوضات مع جمال باشا باي وجه من الوجوه. (انظر تفاصيل هذه القضية في الجزء ٢٩ من مجموعة « الحرب

– استرجاع وحدته الجغرافية في حدوده الطبيعية والتاريخية[١]..

ثم انضمت اللجنة المركزية السورية[٢] في باريس إلى الجمعية اللبنانية فوحدتا جهودهما لتحقيق استقلال لبنان الكبير.

أما الوفد اللبناني فقد مثل أمام المجلس الأعلى لمؤتمر الصلح في فرساي في ١٣ شباط ١٩١٩ وقدم القرار الإداري الآنف الذكر. ثم ألقى رئيس الوفد بياناً يعبر عن أماني اللبنانيين في وحدة بلادهم واستقلالها. ومما قاله:

« يا سيدي الرئيس، أيها السادة،

« ان وفدنا إنما هو موكل من قبل المجلس الكبير لإدارة جبل لبنان الذي هو بمثابة مجلس نواب وطني منتخب على أسس ديموقراطية بتصويت كل الأمة اللبنانية مما يجعل له تمام الحق بتعيين هذا الوفد

---

١ – رفيق ابو عراج ص ٣٤

٢ – كانت هذه اللجنة، ورئيسها شكري غانم، تعمل باديء ذي بدء من اجل الوحدة السورية.

العظمى »).

ويذكر رمزي ميور ان المندوبين البريطانيين « وخاصة المستر لويد جورج (بذلوا) غاية جهودهم ليحملوا الفرنسيين على أن يسمحوا بانشاء دولة عربية في سورية ويكتفوا بالسيطرة على البلاد الساحلية، ولكن الفرنسيين أصروا على امتلاك سورية باجمعها » (رمزي ميور ص ١٨٨).

الذي أنا رئيسه ولي الشرف أن أتكلم باسمه لأرفع إلى المؤتمر مطالب الشعب اللبناني .

« ان جبل لبنان قد كان على الدوام مستقلاً استقلالاً نوعياً وقد حافظ على استقلاله هذا على عهد العرب والترك والمصريين حتى أن هذا الاستقلال كان له بعض الأحيان صبغة الاستقلال التام وكانت دولة الأتراك نفسها تعترف به . وقد أقرت أوروبا بعد حوادث سنة ١٨٦٠ هذا الاستقلال النوعي وأعطته بضمانتها بمعاهدة سنة ١٨٦١ وسنة ١٨٦٤ شكلاً وقوة خاصة ضمن حدود مقررة بحيث لم يكن يربطه بتركية غير رابطة التبعية . أما الآن وقد سقطت حكومة الباب العالي فلبنان أصبح مستقلاً بحكومته الوطنية ومجلس نوابه المنتخب ومن ثم فهو يطلب مع الموافقة على استقلاله التام ، استرجاع حدوده التاريخية والطبيعية التي سلبها الاتراك ظلماً منه .. ».

هذا وأعلن رئيس الوفد موافقة لبنان على الانتداب الفرنسي رغبة في الحد من معارضة فرنسة لهذا الاستقلال ، قال :

« كل ذلك كان مما أهاب باللبنانيين قاطبة إليها (إلى فرنسة) حتى أن مجلس الإدارة الكبير وهو صدى الرأي العام الامين قرر باجماع الآراء طلب مساندة فرنسة... على أننا بطلب هذه المساعدة لا نقصد ترك شيء من حقوقنا ولا أن نتنازل عن استقلالنا . وإنما نرمي بذلك إلى الاستفادة من خبرة طويلة ووقاية أنفسنا من العثار الذي تتعرض له كل حكومة فتية . والحصول على حكم نافذ الكلمة من الطوائف المختلفة التي تتألف منها بلادنا . وأخيراً ضمانة استقلالنا

مما قد ينتابه من التعديات[1] » .

رأى مـؤتمر الصلح أن لا بد ، إزاء الآراء المتضـاربة من الأخذ برأي الرئيس ولسون في تشكيل لجنة دولية تشترك فيهـا إنكلترة وفرنسة مع الولايات المتحدة تقف على رغبات الأهلـين بنفسها[2]. ولما طالبت حكومة واشنطن إنكلترة وفرنسة أن تشتركا في تشكيل هذه اللجنة تنفيـذاً لقرار مؤتمر الصلح « أعلنتـا عدم موافقتها على مهمة هذه اللجنة وعدم تقيدها بقراراتهـا . واضطر الرئيس وولسن حينئذ إلى الاكتفاء بلجنة كراين التي كان جميع أعضائها من الأميركيين[3] » .

وهكذا عادت الوفود الشرقية إلى بلادها استعداداً لاستقبـال تلك اللجنة . وقبل أن يبحر الأمير فيصل عائـداً إلى بلاده ، قام بزيارة كليمنصو رئيس الوزاره الفرنسية ، آنذاك ، الذي جـدد وعوده بمساعدة فرنسة للاعتراف باستقلال سورية شرط أن تعترف سورية بمصالحها[4] .

ويذكر أمـين السعيد أن فيصـلا طلب إلى جورج بيكو ، المندوب الفرنسي في الشرق ، في ١٦ أيار ١٩١٩ أن « تلغي فرنسا

---

١ ـ قدمت جمعية النهضة اللبنانية في اميركا مذكرة الى مؤتمر الصلح في اول ايار تطالب فيها بالاستقلال الابناني . « استقلال لبنان ـ ص ٧١ » .

٢ ـ يقول امين السعيد « ان مبدأ الاستفتاء يلغي ضمنا معاهدة سايكس ـ بيكو » . ج ٢ ص ١٧

٣ ـ اسعد داغر ص ١٠٣

٤ ـ مزهر ص ٨٧٨ ـ ٨٧٩

معاهدة سايكس – بيكو في مقابل الاعتراف بالانتداب على سورية[1] » . فوعده بيكو بابلاغ رغبته هذه إلى حكومته ووعده بالمساعدة على إنشاء « سورية كاملة[2] » .

ذهب بيكو إلى بكركي تنفيذاً لوعده، وحاول حمل البطريرك الياس الحويك على التسليم بالحاق لبنان بحكومة دمشق . وطفق يغريه بسهول سورية وخصب تربتها ... فلم يكترث البطريرك لهذه الترهات وأسكته برفضه القاطع . وقد عبر المطران يوسف دريان الذي كان حاضراً هذا الاجتماع عن فكرة اللبنانيين جميعهم بالعبارة التالية : « موتنا في ظل صخورنا خير لنا من الانضمام إلى حكومة دمشق[3] » .

وروى البطريرك عن المطران دريان قوله : « ان قرية صغيرة في لبنان أحب إلينا من سهول سورية الفسيحة [4] » .

ويقول أسعد داغر في مذكراته – وقد سافر إلى لبنان مع المرحوم اسكندر عمون يوم قررت عصبة الأمم إرسال لجنة استفتاء – :

« إجتمعنا بمعظم الزعماء اللبنانيين، وبحثنا معهم في الأمر واتفقنا مع كثيرين من كبارهم على خطة واحدة للعمل على أساس استقلال كل من لبنان وسوريا استقلالاً تاماً . والاتفاق فيما بينهما على الحدود

---

١ - امين السعيد ج ٢ ص ٤٥

٢ - امين السعيد ج ٢ ص ٤٦ ورفيق ابو عراج ص ٣١

٣ - مزهر ص ٨٧٣

٤ - مزهر ص ٨٧٣

والعلاقات الاقتصادية بشكل تراعى فيه حاجة كل منهما ، حتى أن البطريركية المارونية نفسها اقتنعت بسداد الخطة التي بسطناها لها . فبعد أن تكلمنا نحو ساعة مع البطريرك الياس الحويك قال رحمه الله : « إني شخصياً أشعر بميل شديد إلى التعاون معكم في هذه السياسة . فقابلوا الأساقفة ثم عودوا إليّ بعد يومين » .

« واجتمعنا بالأساقفة الذين كانوا في بكركي حينئذ فرأينا منهم كل تأييد . وأذكر أن المطران عبدالله الخوري أوصلنا إلى السيارة ودفعنا إليها قائلاً : « إذهبوا فنحن معكم[1] » .

وبعد رجوع أسعد داغر تبدلت الحالة في دمشق . ووقع السوريون في بلبلة سياسية ضعضعت تفكيرهم . ويقول في ذلك أسعد داغر ان «السياسة التي اتبعت في سورية كانت غريبة في بابها[2]»

---

١ - اسعد داغر ص ١٣١

وهكذا يظهر جلياً أن تنازل السوريين حينئذ عن ضم لبنان الى الوحدة السورية مقابل العمل المشترك على رفض الحماية والانتداب ، إنما هو إقرار صريح منهم بكون اللبنانيين يعارضون الوحدة بين لبنان وسورية .

وان اقتناع البطريرك والزعماء اللبنانيين بالتعاون مع فيصل لقاء اعترافه باستقلال لبنان التام ، دليل على أن أحد الاسباب في قبول اللبنانيين بالانتداب الفرنسي إنما كان لرد مطامع السوريين في لبنانهم .

٢ - اسعد داغر ص ١٢٢

إنْ من ناحية المفكرين وقادة الرأي العام ورجال الحكم أو من ناحية الشعب الذي «يرى تناقضاً عظيماً في أعمال الحكومة[1]».
فعادت نغمة «الوحدة السورية» تطغو على عقول إخواننا السوريين، مما حدا باللبنانيين إلى إعادة النظر بموقفهم منهم ومن الانتداب.

قرار مجلس ادارة لبنان في ٢٠ ايار ١٩١٩

ما كادت أنباء اجتماعات فيصل بكليمنصو وبيكو، واجتماع بيكو بالبطريرك الماروني، وهتافات السوريين للوحدة السورية تصل إلى اسماع اللبنانيين حتى أدرك الجميع خطورة الموقف. فاجتمع مجلس الإدارة اللبناني في ٢٠ أيار ١٩١٩ وأصدر القرار التاريخي التالي[2]:

«لما كان جبل لبنان مستقلاً منذ القديم بحدوده التاريخية والجغرافية، والقطع التي فصلت عنه قد سلخت عنوة واغتصاباً من الدولة التركية.

ولما كانت هذه الدولة الغاصبة قد تقلص ظلها واضمحلت سيطرتها على هذه البلاد.

ولما كان لم يتسع له العيش والرقي ما لم تعد إليه القطع المفصولة عنه.

ولما كانت دول الحلفاء أعلنت أنها تساعد على تحرير الشعوب

---

١ - اسعد داغر ص ١٢٥

٢ - امين السعيد ج ٢ ص ٨٤ - ٨٥

المظلومة وإعادة الاراضي المفصولة لبلادها الاصلية وكانت القطع المغتصبة من لبنان تعتبر قسماً منه ومعظم سكانها من اللبنانيين أصلًا.

فبناء على ذلك كله وعلى إلحاح اللبنانيين المتواصل والمعلن في عموم أنحاء الجبل ، قد اجتمع هـذا المجلس بصفته ممثلًا للشعب اللبناني وأصدر القرار التالي :

أولاً : المناداة باستقلال لبنان السياسي والاداري بحدوده الجغرافية والتاريخية واعتبار البلاد المغصوبة منه ومعظم سكانها من اللبنانيين أصلًا ، بلاداً لبنانية كما كانت قبل سلخها .

ثانياً : جعل حكومة لبنان هذه ديموقراطية مؤسسة على الحرية والإخاء والمساواة وحفظ حقوق الأقلية وحرية الأديان .

ثالثاً : إن الحكومة اللبنانية والحكومة الفرنسية المساعـدة تتفقان على تقرير العلائق الاقتصادية بين لبنان والحكومات المجاورة.

رابعـاً : يباشر درس وتنظيم القـانون الأساسي بطريقته الأصولية .

خامساً : تقديم القرار لمؤتمر الصلح العام .

سادساً : إعلان هذا القرار في الجريدة الرسمية وفي غيرها من الجرائـد الوطنية تطميناً لأفكار اللبنانيين وبيانـاً للمحافظة على حقوقهم » .

وبعد هـذا القرار قدّم أركان حكومة لبنان وموظفوها العريضة التالية [١] :

---

١ ـ اوراق لبنانية ، السنة الثانية ، الجزء الرابع .

« لجانب مجلس إدارتنا الموقر »

نحن مأموري حكومة لبنان نتقدّم بصفتنا الشخصية كوطنيين لبنانيين إلى هيئتكم الموقرة بأخلص عبارات التهنئة والشكر الحميم على القرار الذي أصدرتموه تحت عدد ٥٦١ بشأن استقلال جبلنا العزيز استقلالاً إدارياً بحدوده الجغرافية والتاريخية واعتبار البلاد التي اغتصبت منه لبنانية كما كانت قبل سلخها عنه . فبكل قوّتنا نؤيد هذا القرار الوطني الراسخ على حقوق راهنة ثابتة ومع إكبار وطنيتكم نرجو أن لا نحرم التمتع بمشاهدة رايتنا المحبوبة في القريب العاجل .

« وبياناً لصدق عاطفتنا الوطنية وبرهاناً على أن هذا القرار إنما هو منطوق أمنية كل لبناني صادق اقتضى عرضه » .

ويلي ذلك التواقيع .

أما الراية اللبنانية التي طالبوا بها فقد خفقت في الآفاق اللبنانية مدة ليست بقصيرة. تلك الراية البيضاء ، في وسطها ارزة ، كانت راية الفدائيين اللبنانيين بقيادة رشيد بك نخله .

الاستفتاء

وصلت اللجنة الاميركية إلى دمشق بتاريخ ٣ تموز ١٩١٩ ، فقابلها رئيس المؤتمر السوري[١] وقدّم إليها قرار المؤتمر القاضي

---

١ ـ المؤتمر الذي اعلن فيما بعد فيصلاً ملكاً على سورية .

بقيام مملكة سورية برئاسة الأمير فيصل، هذا القرار الذي رفض أية وصاية أو انتداب أو حق تدّعيه فرنسة بما فيه أية مساعدة تأتي من قبلها. وإذا كان لا بد من مساعدة أجنبية فلتكن أميركة تلك الدولة المساعدة .

ثم سافرت اللجنة إلى بيروت بتاريخ ٤ تموز ١٩١٩ وباشرت مهمتها فوراً .

انقسم أبناء بيروت إلى فئتين: فئة أولى تطالب بتوسيع لبنان وباستقلاله بمناظرة ومساعدة فرنسة . وفئة ثانية انقسمت إلى معسكرين : واحد يطلب الوحدة السورية بما فيها لبنان بمساعدة أميركة ، والثاني الوحدة السورية بمساعدة فرنسة[١] .

أما دعاة الاستقلال من أبناء بيروت فقد شكلوا لجنة من أكثر الأحزاب وضعت منهاجاً وافق عليه أكثر ممثلي الطوائف والمصالح ، كما وقعه ألوف الناس وهو يتلخص بما يلي :

١ – طلب إرجاع ما فصل من لبنان لإنشاء لبنان الكبير بحدوده الطبيعية التاريخية وعاصمته بيروت .

٢ – طلب مساعدة فرنسة دون سواها .

٣ – وضع اتفاق اقتصادي ، تسهر فرنسة على تطبيقه ، بين لبنان وسورية بشروط عادلة متساوية بين الدولتين ٢ .

وقال المحامي شكري أرقش ، أحد أعضاء الوفود مخاطباً

---

١ - Samné P 564

٢ - ابو عراج ص ٥٥ Samné p 562 - 564

اللجنة الأميركية : « اننا نؤيد بكل قوانا استقلال لبنان الكبير بمساعدة فرنسة. وكونوا على ثقة أنه إذا أجبرتنا الدول على الالتحاق، بأي شكل كان، بسورية حجازية، فاننا نترك دون أسف، بلادنا وأموالنا وكل ما يعز علينا[1] [2] ».

أما دعاة الوحدة السورية بين البيروتيين فقد مثلهم بعض أعضاء المجلس البلدي الذي اعترض على شرعيته انطوان عرب أحد أعضاء هذا المجلس بالذات وأعلن للجنة الأميركية قائلًا : « ان أولئك الأعضاء قد عينوا زمن الأتراك ولا يمثلون الشعب تمام التمثيل » . ويقول جورج سمنه إن اللجنة الأميركية أخذت اعتراض انطوان عرب هذا بعين الاعتبار[3] .

ثم اجتمعت اللجنة بالأمير سعيد الجزائري – حفيد عبد القادر الجزائري – الذي أيد مطالب اللبنانيين الاستقلاليين [4] .

واستقبلت اللجنة وفداً قوامه السادة بطرس بك الزهر وأمين بك حماده وقيصر بك معلوف وابراهيم بك الأسود، قدم لها عرائض وقعها تسعون بالمئـة من سكان المناطق الممتدة مـا بين العاصي وفلسطين والجبل الأبيض. وكان هدف هذه العرائض جميعها إعادة لبنان إلى حدوده الطبيعية بمساندة فرنسة [5] .

---

١ - Samné p 564

٢ - في الاجتماع الذي «عقد في بيروت في ٢٢ تموز ١٩١٩ قرر المجتمعون ان تضم المدينة الى لبنان ويعلن استقلاله « امين الريحاني - ص ٣٤١ ».

٣ - Samné p 562

٤ - Samné p 565

٥ - Samné p 565

وفي بعلبك طالب أكثرية الوفود من كل الطوائف :
– إلحاق قضائها بلبنان الكبير .
– مساعدة فرنسة .

هذا ، وقد ترك أثراً كبيراً في نفوس أعضاء اللجنة وفد من النساء المسلمات البعلبكيات اللواتي طلبن بالاجماع بالمطلبين الآنفي الذكر [١] .

وما أن غادرت اللجنة الأميركية بعلبك حتى أمر حاكمها العربي بإلقاء القبض على عدد من المسلمين وفي طليعتهم محمد شمدين دندش وعائلته [٢] . *

وفي جبل لبنان ، اجتمعت في قرية عيناب اللجنة الأميركية بمجلس الادارة اللبناني الذي أصرّ على مطالبه التي وردت في القرارين التاريخيين اللذين قدمهما قبل ذلك الى مؤتمر الصلح وخلاصتها :
١ – التشبث باستقلال لبنان التام. ٢– وان كان لا بدّ من وصاية فلتكن لفرنسة .

ثم استقبلت اللجنة وفوداً درزية جاءت تطالب بلبنان الكبير وبالانتداب الفرنسي . وقد قدّم أمين بك حماده أحد أعضاء هذه الوفود رسالة رسمية إلى رئيس اللجنة من شيخ عقل الدروز بهذا المعنى [٣] .

---

١ - Samné p . 567

٢ - Samné p . 567

* - ملاحظة - كان جورج سمنه متحمساً للوحدة السورية كنذره مطران.

٣ - Samné p . 568

أما البطريرك الماروني فأجابهم: « استقلال لبنان التام المطلق. وإن كان لا بدّ من مساعدة فلتكن من جانب فرنسة[1] ».

وفي طرابلس « كان للسواد الأعظم من سكانها رأي خاص وموقف سياسي معلوم. فحضر المرحوم الشيخ محمد الجسر وأخذ يعمل على استمالة القلوب نحو الفرنسيين وبيّن فوائد التعاون معهم لمصلحة البلاد[2] ».

« وفي هذه الاثناء تأسست في بيروت جمعية الشبيبة السورية وقد انشىء فرع لها في طرابلس كنت أحد أعضائه العاملين. وكانت غاية هذه الجمعية الدعاية للاتفاق مع الفرنسويين. فكان لها تأثير حسن على بث الفكرة بين الأوساط المختلفة[3] »

ولما وصلت اللجنة الاميركية إلى طرابلس « وحلّت في الدار الحكومية ، أخذت وفود البلديات والعلماء والجمعيات والوجوه والمحامين والأطباء يفدون إلى الاعراب عن رغباتهم أمام اللجنة. ورغم وجود معارضة شديدة لم يكن يخفى أمرها على أحد فقد كانت نتيجة الاستفتاء ما يسر له الفرنسيون كثيراً[4] ».

---

١ - مزهر ص ٨٨٢

٢ - عبد الفتاح اليافي ص ٢٢٩

٣ - عبد الفتاح اليافي ص ٢٣٤

٤ - عبد الفتاح اليافي ص ٢٤٢

واستقبلت اللجنة أيضاً وفد عكار [1] الذي طالب بالانتداب الفرنسي .

أما عن صيدا فيقول الاستاذ قبرصي عن داود مجاعص عن جريدة « الحقيقة » البيروتية ، ان أهالي صيدا طالبوا بمقررات المؤتمر السوري [2] . ولكن جورج سمنه يقول : ان صيدا طلبت الوحدة السورية والانتداب الفرنسي [3] .. لم نعثر على مصادر أخرى تؤيد أو تنفي ما رواه سمنه أو جريدة « الحقيقة » لذلك لا نستبعد ، ولنا في غير منطقة مثال على ذلك ، ان يكون الصيداويون انقسموا أيضاً إلى فريقين : واحد يؤيد الانتداب الفرنسي وآخر يؤيد الأمير فيصل .

عادت اللجنة الأميركية إلى وطنها ونشرت تقريراً عن مهمتها ، جاء فيه عن لبنان :

« ٤ . برنامج لبنان . يقسم البرنامج اللبناني إلى ثلاثة أقسام كما تدل على ذلك العرائض :

١ – لبنان كبير فرنسوي مستقل .

---

١ - يوم ترأس البطريرك الحويك الوفد اللبناني الثاني الى مؤتمر الصلح زوده ابناء عكار بعرائض وقعها ٩٧ بالمئة منهم ، على اقل تقدير ، يطلبون فيها ضمهم الى لبنان الكبير . ولقد بلغ طول هذه العرائض طول سراي حلبا اي ٢٥ متراً . « من حديث خاص مع الاستاذ ملاتيوس ديمتري خوري . كان الاستاذ خوري والمرحوم والده من أشد المناضلين للوحدة اللبنانية . وقد لعبا في تلك الحقبة دوراً هاماً » .

٢ - عبدالله القبرصي ص ٦٩

٣ - Samné p . 568

٢ – لبنان كبير مستقل .

يطلب أصحاب البرنامج الأول فصل لبنان الكبير عن سورية واستقلاله التام مع سهول البقاع وضم طرابلس أحياناً وأن يكون تحت الوصاية الفرنسوية . وقد تلقت اللجنة ١٣٩ عريضة تؤيدهذا البرنامج من ١٤٦ رفعت إليها في المنطقة الغربية المحتلة . كانت عشرون منها ذات صيغة واحدة .

وبرنامج الحزب الثاني كبرنامج الحزب الأول إلا أنه خال من طلب الوصاية الفرنسوية و ٣٣ من ٣٦ عريضة من هذا البرنامج مطبوعة في شكلين و٨ منها مضاف إليها طلب الوصاية خطأ .

أما برنامج لبنان الإداري فيطلب لبنان الكبير كمقاطعة مستقلة إدارياً ضمن الوحدة السورية. ولم يرد ذكر للوصاية في هذا البرنامج على الإطلاق . وعدد العرائض التي اشتملت عليه ٤٩ وهي خطية ليس منها غير ٣ مطبوعة[١] » .

وقال التقرير أيضاً : « كان سهل البقاع معتبراً عادة جزءاً من لبنان الكبير لا ينفصل عنه . وقد أشارت ١١ عريضة بوجوب ضمه إلى لبنان وطلبت ٨ من دمشق بقاءه في منطقة دمشق[٢] » .

ويقول حتي : « كانت نتيجة استقصاءات اللجنة الأميركية كما جاءت في تقريرها أن أكثرية اللبنانيين أظهروا ميلًا للانتداب الافرنسي وطالبوا بلبنان الكبير من صور إلى طرابلس وبلبنان

---

١ - امين السعيد ج ٢ ص ٥٥

٢ - امين السعيد ج ٢ ص ٥٦

مستقل استقلالاً تاماً عن سورية[3] ».

هذه هي النتيجة التي حصلت عليها اللجنة الأميركية في لبنان وسورية. ومع أن الاستفتاء في سورية قد خيب ظن الفرنسيين فانهم لم ييأسوا ولم يقطعوا الأمل في إمكانية بسط نفوذهم على « سورية كلها ».

الوفد اللبناني الثاني

طالت الأيام ولم يبد في جو المؤتمر ما يبشر بتحقيق أماني اللبنانيين. فهبوا هبة واحدة وحرروا وكالات عن جميع أنحاء لبنان: القديم والأنحاء المطلوب إرجاعها، عينوا بموجبها البطريرك الماروني الياس الحويك مندوباً عنهم لدى مؤتمر الصلح – وسموه « البطريرك اللبناني » – ليطالب بحقوق بلادهم وبتأييد استقلالها. فقدم البطريرك المذكرة التالية إلى المؤتمر:

« مذكرة البطريرك الحويك رئيس الوفد اللبناني الثاني إلى مؤتمر الصلح:

« إن البطريرك الماروني رئيس الوفد اللبناني إلى مؤتمر الصلح يتقدم باسم الحكومة اللبنانية ومجلس إدارتها بمقتضى التفويض

---

٣ – حتي . لبنان في التاريخ ص ٥٩٣ .من يرد تحليلاً لهذا التقرير يراجع:
Harry N. Howard «An Américan Expériment in Peace - Making : The King Crane Commission», The Moslem Word Vol xxx II, (1942) p. 122 - 146.

الذي بيده منها . ثم باسم أهل المدن والقرى اللبنانية التي تطلب الانضمام إلى لبنان على اختلاف نزعاتها الدينية ومذاهبها وعناصرها بحسب انتدابها الشرعي له . وقد أودع هو كل وثائق انتدابه وتفويضه هذا لدى سكرتارية مؤتمر الصلح العامة بواسطة وزارة الأمور الخارجية الفرنسية فيلتمس من سامي عدالة حضرة أصحاب السعادة مفوضي دول الحلفاء والدول المماثلة لها الذي يؤلف منهم المجلس الأعلى في مؤتمر الصلح .

أولاً — الاعتراف باستقلال لبنان الذي نادى به الشعب اللبناني وحكومته في اليوم العشرين من شهر ايار سنة ١٩١٩ .

ثانياً — إعادة لبنان إلى حدوده التاريخية والطبيعية وارجاع البقاع التي سلختها تركيا عنه .

ثالثاً — معاقبة مقترفي الفظائع وأعمال الإعدام والمحرّضين عليها مما أتته في لبنان السلطات الترك — ثم التعويضات الواجبة على تركيا مما هو ضروري لإعادة لبنان إلى ما كان عليه من العمران وكثرة السكان الذين أفنى العدد الوافر منهم عمل التجويع الذي دبره لهم العدو قصداً .

رابعاً — ولما كان مبدأ الانتداب قد تقرر في معاهدة الصلح المبرمة في فرساي يوم ٢٨ حزيران سنة ١٩١٩ دون أن يؤثر ذلك على حقوق لبنان بالسيادة . فيلتمس أيضاً أن يعهد بهذا الانتداب إلى حكومة الجمهورية الفرنساوية التي تتعطف بناء على البند ٢٢ من عهد جمعية الامم بإيلاء لبنان معونتها وإرشادها .. ثم إن البطريرك اللبناني يدعم مطاليب بلاده بالشروح الآتية :

أولاً : بالنظر إلى استقلال لبنان .

إن استقلال لبنان على ما نودي به وعلى ما يفهمه عموم اللبنانيين تقريباً لم يكن قط استقلالاً بسيطاً نجم فعلًا عن إضمحلال السلطنة العثمانية . بل هو استقلال تام الشروط تجاه كل ولاية عربية قد تقام في سوريا. لأن اللبنانيين دون أن نرجع إلى أجدادهم الفينيقيين قد كانوا على الدوام وحدة قومية ممتازة عن كل جماعة من أهل جوارهم باللغة والاخلاق والميول والآداب العربية التي عندهم . وإذا كانت بعد الفتح العربي لسوريا بأربعماية سنة على الأقل قد استطاعت لغة الفاتحين أن تتسرب إلى لبنان فان أماكن عديدة منه قد حفظت بعد ذلك ، وهي لا تزال إلى الآن تحفظ ، نبرة ولهجة خاصة بأهلها وحدهم. مع قطع النظر عن لغتهم الكنسية مما يكفي لإبطال برهان وحدة القومية بوحدة اللغة. ذلك فضلًا عن أن أمثلة أميركا الشمالية وممالك أميركا الجنوبية، ثم بلجيكا الوالونية، وأحدث من ذلك مثل النمسا الالمانية لمما يرمي أيضاً إلى مثل ذلك بنسبة واحدة . ولنا اعتبارات أخرى مما يثبت استقلال لبنان تجاه كل حكومة سورية أو عربية أو غيرها لا تغرب أهميتها عن مؤتمر الصلح . فمن ذلك :

١ ـ الاعتبارات التاريخية وهي :

ان كل ذي إلمام بتاريخ هذه البلاد يعلم بلا ريب من الأدلة المستفاضة ان لبنان رغم خضوع أهل جواره المطلق للفاتحين من العرب أو من الترك قد احتفظ على الغالب باستقلال تام وعلى الدوام باستقلال نوعي أثبته ـ رغم ما ضيق من نطاقه ـ النظام الأساسي

الذي قررته الدول العظمى في عام ١٩٦٠ وهذا الاستقلال الذي به تقرر رفع أثقال الضرائب على لبنان كان بمثابة درس عملي بطرق الحكم . »

ثم ذكر رئيس الوفد اعتباراً هاماً جداً ، قال :

« ان هناك اعتباراً آخر نتوقع من حضرة أصحاب السعادة مفوضي الحلفاء أن يتعظوا فينظروا إليه بما يحق له من الاهتمام : وهو ان الأكثرية الكبرى من سكان الأراضي التي يطلب لبنان إرجاعها إليه قد صرحوا بطلب ضمّ هذه الأراضي إلى لبنان واختاروا الجنسية اللبنانية التي كانت على الدوام أمنية هذه الشعوب التي كلها تقريباً في الأصل لبنانية . وهذه الأمنية ـ بعد ان صرح الحلفاء جهاراً بتقدير مبدأ حق الشعوب بأن تختار خطة مصيرها ـ قد غدا اليوم من السهل تحقيقها لهم لا سيما ووثائق انتدابنا منهم المودعة في ديوان سكرتارية مؤتمر الصلح تبيّن بكل صراحة وقوة أماني هذه الشعوب » .

ولم تنسَ المذكرة أن تعيّن الحدود المطلوب إعادتها فتقول :

« أما هذه الحدود فهي كما يأتي : من الغرب البحر المتوسط ، ومن الشمال النهر الكبير ، ومن الشمال الشرقي خط يمتدّ من النهر الكبير ويعطف على سهل البقيعه والضفة الشرقية من بحيرة حمص ، ومن الشرق قمم الجبل الشرقي (انتي ـ لبان) وجبل الشيخ (حرمون) ، ومن الجنوب الشرقي خط يمتدّ من آخر قمم حرمون ويعكف على بحيرة الحولة ، ومن الجنوب خط يمتدّ من الجبال الواقعة شرقي بحيرة الحولة ويعطف على البحيرة نفسها حتى

ينتهي في الغرب برأس الناقورة [1] » .

ويعلق الأستاذ الياس طنوس الحويك في تاريخه المخطوط على محادثات البطريرك وتقريره ، فيقول :

« واستاءت الحكومة الفرنسية استياء شديداً من هذا التقرير وحاذرت إبداءه للعيان وعملت على اقفال باب المؤتمر في وجه الوفد اللبناني ووضع تقريره على بساط البحث [2] » . وعجلت بترحيل البطريرك ، خصوصاً وإن الأمير فيصلاً كان ينوي السفر إلى باريس . فخافت أن يلتقي بالبطريرك ويتم بينهما أي اتفاق فيفسد خططها . وسافر البطريرك بعد أن تسلّم من كليمنصو كتاباً يعلن فيه ، بشكل غامض ومبهم ان فرنسة ستلبي رغبة اللبنانيين.

وتابع الاستاذ حويك كلامه قائلاً : « ومن تدبّر كتاب كليمنصو وقابله بالمذكرة التي قدّمها البطريرك لمؤتمر الصلح وجد هذه المذكرة في واد وذلك الكتاب في واد [3] » .

ولما اطلع مجلس الإدارة اللبناني على نتيجة رحلة البطريرك وأى الإبهام والغموض ما زالا محيطين بالقضية اللبنانية فقرّر أن يتوجه بالذات إلى باريس لملاحقتها. إلا أن الجنرال غورو المندوب

---

١ ـ من مذكرة الوفد اللبناني الثاني المثبتة في كتاب « استقلال لبنان » ليوسف اصاف بك ، ص ٦٩ ـ ٧٠ .

٢ ـ ذكره مزهر ـ ص ٨٩٨

٣ ـ المصدر نفسه ص ٩٠٠ . كان الاستاذ الياس الحويك ترجماناً للمتصرفية وكان مطلعاً على دخائل المسألة اللبنانية وشاهد عيان لما كان يجري في تلك الايام العصيبة .

السامي للجمهورية الفرنسية ساءه ذلك ومنع المجلس من السفر شأنه في ذلك شأن بيكو سلفه الذي رفض أيضاً سفر المجلس لملاحقة القضية اللبنانية .

اتفاق فيصل - كليمنصو

أما الأمير فيصل فقد تمكن من عقد اتفاق خاص مع الفرنسيين يعرف باتفاق فيصل – كليمنصو . من بنود هذا الاتفاق :

١ – أن يعترف فيصل بمصالح فرنسة في سورية .

٢ – أن يتعهد برفض أية مساعدة فنية عسكرية كانت أم مدنية أم اقتصادية من أية دولة غير فرنسة .

٣ – أن يعترف باستقلال لبنان تحت الانتداب الفرنسي .

٤ – أن تعترف فرنسة بحق السوريين بالاستقلال تحت ظل حكم دستوري .

٥– أن تحمي فرنسة هذا الاستقلال ضمن الحدود التي سيعترف بها مؤتمر الصلح [1] .

الوفد اللبناني الثالث

رأى اللبنانيون في اتفاق فيصل – كليمنصو ما يريبهم. فتألف وفد ثالث إلى مؤتمر الصلح قوامه المطران عبدالله الخوري رئيساً

---

١ - امين السعيد ج ٢ ص ١٤٠ حيث تجد صورة الاتفاق بنصه الكامل.

والأمير توفيق ارسلان والشيخ يوسف الجميل والاستاذ اميل اده والمطران كيرلس مغبغب مطران زحله ، والفرد سرسق وأحمد بك الأسعد [1] أعضاء .

هذا ، وقد دعم مجلس إدارة لبنان الوفد بصك وكالة بتاريخ ٢٨ شباط ، هذا نصه [2] :

« لما كان هذا المجلس الممثل للشعب اللبناني نيابياً قد وجه من مضبطته الصادرة في تاريخ ١٩ حزيران سنة ١٩١٩ رجاء تكليفياً إلى غبطة البطريرك الماروني بالسعي لدى مؤتمر الصلح وسائر رجال الحلّ والعقد في باريس وغيرها في سبيل تأييد استقلال لبنان الكبير بحدوده التاريخية والطبيعية استقلالاً تاماً إدارياً وسياسياً وفقاً لقرارات المجلس السابقة .

ولما كانت قرارات المجلس السابقة المنوه بها الصادرة في ٩ كانون الأول سنة ١٩١٩ عدد ٨٠ وفي ٢٠ ايار سنة ١٩١٩ عدد ٥١٦ والمذكرة المقدمة منه لدى اللجنة الأميركية في ١٠ تموز سنة ١٩١٩ تمثّل رغائب اللبنانيين في تأييد استقلال جبل لبنان الكبير بحدوده التاريخية والطبيعية استقلالاً تاماً مطلقاً ادارة وسياسة مع طلب انتداب فرنسة على لبنان .

ولما كان السبب الجوهري في طلب اللبنانيين دولة فرنسة دون

---

١ - لم يتمكن احمد الاسعد من السفر فأرسل وكالة رسمية لرئيس الوفد ينوب عنه بدون قيد باجراء ما يراه ملائماً .

٢ - مزهر ص ٩١٠ و ٩١١

غيرها هو اعتقادهم باحترام هذه الصديقة استقلال لبنان المطلق واللبنانيين وحكومتهم وإدارتهم الوطنية. وانها في خلال الانتداب تناصر لبنان في حياته الحالية بالنظر للازمتين السياسية والاقتصادية.

ولما كان من الضروري للمصلحة الوطنية أن يوجد الآن من يلاحق المطالب اللبنانية المقدّم ذكرها لدى المراجع الإيجابية بمناسبة ما عرف من المفاوضات في مسائل لبنان وسورية وتركيا وكيليكيا :

فبناء على ذلك كله قد قرّر هذا المجلس تفويض وتوكيل المطران عبدالله الخوري الموجود الآن في باريس لإكمال السعي لدى مؤتمر الصلح وسائر المراجع الإيجابية في باريس وغيرها للحصول على المطالب والأماني المار بيانها على الشكل المصرّح به في المضبطة وتقرير هذه الحقوق في مؤتمر الصلح بالصورة النهائية .

في ٢٨ شباط سنة ١٩٢٠ الامضاءات

وبعد مساع جبارة تمكن الوفد من الاتصال بشخصيات فرنسية بارزة عرض عليها قضية لبنان وطلب مساندتها. فأثمرت الجهود واجمع أعضاء اللجنة الفرنسية ذات الصلاحية في الشؤون الخارجية على تأييد الوفد بمطالبه[١] .

---

١ - تجد تفاصيل هذه المساعي والمخابرات كاملة في كتاب « حياة البطريرك الياس الحويك » للخوري ابراهيم حرفوش .

المناداة بفيصل ملكاً واحتجاج اللبنانيين

عقد ممثلوا الاحزاب السورية وأعضاء المؤتمر السوري اجتماعاً برئاسة فيصل. فعرض عليهم اتفاقه مع الحكومة الفرنسية المعروف باتفاق فيصل – كليمنصو . فرفض بالإجماع . فأصر فيصل على تصديقه وأصر المجتمعون على رفضه وعلى محاربة فرنسة وإنكلترا إذا دعت الحاجة[1] .

ثم في ٧ آذار عقد المؤتمر السوري جلسته الشهيرة التي قرر فيها إعلان سورية مستقلة برئاسة فيصل ملكاً عليها . وهكذا فيما كان الوفد اللبناني في باريس غارقاً في جهوده وردت أنباء تفيد بانه نودي بالأمير فيصل ملكاً على سورية وفلسطين ولبنان بتاريخ ١٠ آذار سنة ١٩٢٠ .

أحدث إعلان هذا الاستقلال ضجة كبرى في أوروبة واعتبرته دوائر مؤتمر الصلح تحدياً سافراً لأنه مخالف لقراراتها .

أما في لبنان فكان الاستياء على أشده لأن هذا الإعلان تعرض لكيان لبنان وحدوده . فاحتج مجلس الإدارة ووضع بتاريخ ١٢ آذار سنة ١٩٢٠ قراراً رفعه إلى مؤتمر الصلح بواسطة الجنرال غورو . هذا نصه[2] :

« لقد اطلع المجلس على قرار صادر عن المؤتمر السوري بمناسبة تتويج الملك فيصل ملكاً على سورية فوجد فيه مساساً بحرية لبنان

---

١ - مزهر ص ٩١٣

٢ - امين السعيد - ج ٢ ص ١٤١

وحقوقه . ولما كان ليس للمؤتمر السوري ولا لغيره من الحكومات المحلية صلاحية البحث والتدخل في أمور لبنان وإدارته . فيحتج هذا المجلس لنيابته عن اللبنانيين على كل ما ورد في المنشور المذكور فيما يتعلق بجبل لبنان . ويؤيد استقلاله المطلق المعلن في شهر أيار سنة ١٩١٩ راجياً رفع هذا الاحتجاج إلى المؤتمر العام المؤتمن على مصالح الأمم ».

وأرسل البطريرك الماروني الاحتجاج الآتي إلى الجنرال غورو[١] :

« إستناداً إلى الانتداب الذي خولنا إياه الشعب اللبناني لتمثيله والمدافعة عن حقوقه لدى مؤتمر السلام نحتج بكل قوانا على قرار المؤتمر السوري في دمشق المخالف لأماني اللبنانيين. ونحن لا نكف عن متابعة المطالبة بكل شدة بحقوقنا المبينة في اللائحة التي قدمناها إلى مؤتمر السلام بتاريخ ٢٥ تشرين الأول سنة ١٩١٩ . وإذا كان بعض اللبنانيين قد اشتركوا في المؤتمر السوري فهؤلاء لا يمثلون قطعياً الأمة اللبنانية . وإننا على ثقة بأن الحلفاء ينصفون اللبنانيين المظلومين الذين كابدوا كثيراً من العذاب في اخلاصهم وتفانيهم على مصلحة الحلفاء ».

كما أن مجلس بلدية طرابلس أصدر قراراً في ١٢ آذار مفاده « أن مندوبي المؤتمر السوري لا ينوبون عن أهل طرابلس وانه (أي المجلس) ليعترض أشد الاعتراض على ذاك المؤتمر الذي ألف بطريقة غير قانونية ويطلب أن تكون سورية الكبرى تحت حماية

---

١ - امين السعيد - ج ٢ ص ١٤١

فرنسا[1] » .

هذا فضلاً عن التظاهرات العديدة التي قامت في كافة الأنحاء اللبنانية احتجاجاً على قرار المؤتمر السوري . وفي ٢٢ آذار سنة ١٩٢٠ اجتمع شيوخ الصلح ورؤساء البلديات ووجهاء الأهلين في بعبدا مع أعضاء مجلس الإدارة حيث أقيم مهرجان ضخم احتجاجاً على قرار المؤتمر السوري الذي تعرّض بغير حق للشؤون اللبنانية.

واقترح الحاضرون رفع العلم اللبناني على دور الحكومة ، علم الأرزة الخالدة . لكن الحكومة المنتدبة كانت قد استدركت فأرسلت علماً مثلث الألوان كالعلم الفرنسي تتوسطه أرزة نشر أثناء الاجتماع. وكان الحماس قد بلغ الذروة، فصفّق له الحاضرون وهلّلوا .

أما المجلس الأعلى لمؤتمر الصلح فقد انعقد في سان ريمو بايطاليا ومنح الانتداب على سورية ولبنان لفرنسة وعلى فلسطين والعراق لإنكلترا بقرار اتخذه في ٢٦ نيسان ١٩٢٠ .

وعلى أثر ذلك ، أشيع يوماً أن فيصلاً سيفاوض الفرنسيين مجدداً . فقدّم إليه حزب الاستقلال واللجنة الوطنية السوريين كتابين يرجوانه فيهما أن « لا تدخل الحكومة السورية في مفاوضات مع الفرنسيين إلا على أساس استقلال البلاد السورية ووحدتها ، مع استثناء لبنان الذي يخول الحق في بتّ مصيره[2] ».

---

١ - امين السعيد - ج ٢ ص ١٤١
٢ - اسعد داغر ص ١٢٤
ملاحظة : اسعد داغر وامين السعيد من كبار المناضلين للوحدة العربية .

لهذا الاستثناء ، في نظرنا ، مغزى كبير لأنه برهان آخر على تمسّك اللبنانيين باستقلال وطنهم بعيداً عن كل وحدة أو اتحاد .

وإنه لفخر كبير للبنان بهذا الرعيل ، الذي بإيمانه وبجهاده وبثباته ، أجبر السوريين مرتين وخلال سنة واحدة وفي فترة تاريخية عصيبة على تقديم عرض يتعهدون فيه باحترام لبنان واستقلاله .

أيجوز من بعد أن يغالط بعض الناس حقائق التاريخ فينسبون الوحدة اللبنانية إلى إرادة أجنبية ؟

المحاولة الاولى للتخلص من الانتداب الفرنسي

ثم تلا ذلك تطبيق سياسة فرنسية شديدة مرهقة على أيد نفر من الموظفين الحمق بثّوا في مختلف المصالح والإدارات فأضحت الكلمة كلمتهم والشور شورهم ، والقمندان « لابرو » في طليعة هؤلاء .

كان لا بد أن يعيد الكثيرون إذ ذاك نظرهم في موقفهم من الانتداب . فاستقال سعيد بك البستاني قائد الجند اللبناني العام من منصبه احتجاجاً على تصرفات الفرنسيين . وراح يتردّد إلى دمشق بغية التفاهم مع الملك فيصل على حل يرتضيه الطرفان .

بدأت المخابرات الجدية في بيروت في أواخر شهر أيار ١٩٢٠ على قاعدة استقلال لبنان وحياده بعد توسيعه ، بين نجيب بك الأصفر عن سورية وكل من سعد الله الحويك أخ البطريرك الماروني وأحد

أعضاء مجلس الإدارة والياس الحويك ترجمان المتصرفية. وقدانضم إليهم بعدئذ سليمان كنعان والياس الشويري من أعضاء مجلس الإدارة والأمير أمين أرسلان وسواهم .

وبعد أخذ ورد تم الإتفاق على مضبطة بطلب استقلال لبنان التام يحملها أعضاء مجلس الإدارة إلى دمشق فحيفا فباريس، فأميركا إذا اقتضى الأمر ، حيث يلاحقون قضيتهم أمام مؤتمر الصلح . والمضبطة تمّ وضعها في ١٠ تموز سنة ١٩٢٠ . وهذا نصها :

« إن مجلس أدارة جبل لبنان النيابي المؤلف نظاماً من ثلاثة عشر نائباً والمؤلف في الوقت الحاضر من اثني عشر نائباً عاملاً بسبب خلو مركز أحد نائبي قضاء كسروان المستقيل ، قد وضع نهار السبت الواقع في ١٠ تموز سنة ١٩٢٠ باكثريته الكبرى القرار الآتي .

انه لما كان اللبنانيون منذ أعلنت الدول العظمى حق انشاء الحكومة الوطنية لشعوب هذه البلاد قد طلبوا وما زالوا يطالبون بتأييد حقوقهم وبتأسيس حكومة وطنية مستقلة .

ولما كان استقلال جبل لبنان ثابتاً تاريخياً ومعروفاً منذ أجيال وموقعه وطبيعة أهاليه المؤالفة للحرية الاستقلالية منذ القديم كله مما يستلزم استقلاله وحياده السياسي أيضاً لوقايته من المطامع والطوارىء .

وكان مع ذلك من أهم مصالحه وراحة شعبه الوفاق وصفاء العلاقات مع مجاوريه وقد دلّ على ذلك ما أحدثه التقاطع من ثوران الجهلاء لارتكاب الحوادث المؤلمة المقلقة المتسلسلة من السنة

الماضية إلى هذه الآونة .

فبناء على ذلك كله قد بذل هذا المجلس مزيد الاهتمام توصّلاً لوفاق يضمن حقوق البلادين المتجاورين لبنان وسوريا ومصالحهما ودوام حسن الصلات بينهما في المستقبل . وبعد البحث في هذا الشأن وجد أنه من الممكن الوصول إلى ذلك بمقتضى البنود التالية :

١ — استقلال لبنان التام المطلق .

٢ — حياده السياسي بحيث لا يحارب ولا يحارب ويكون بمعزل عن كل تدخل حربي .

٣ — إعادة المسلوخ منه سابقاً بموجب اتفاق يتمّ بينه وبين حكومة سوريا .

٤ — المسائل الاقتصادية يجري درسها وتقرّر بواسطة لجنة مؤلفة من الطرفين وتنفّذ قراراتها بعد موافقة مجلس نواب لبنان وسوريا .

٥ — يتعاون الفريقان في السعي لدى الدول للتصديق على هذه البنود الأربعة وضمانة أحكامها .

ولأجل التمكن من العمل على ذلك بحرية وبمعزل عن كل ضغط وتأثير خارجي ولأجل السعي الناجع في المراجع الإيجابية لتقرير أحكام البنود الأربعة المقدّم بيانها التي هي مطالب الأمة اللبنانية ومصلحة لبنان الحقيقية المنزهة عن المآرب والأغراض الخصوصية وبالنظر لنيابة هذا المجلس عن الشعب اللبناني القانونية والمؤيدة مؤخراً أيضاً بأصوات أكثرية الشعب الكبرى قد قررت

أكثرية المجلس موقعة هذه المضبطة الانتقال والتوجيه بالذات لملاحقة ومتابعة تقرير مضمون البنود الآنف بيانها في أعمال المقتضاة والمراجع الإيجابية وابلاغ هذا القرار برمته إلى المقامات الرسمية واعلانه بالطرق الممكنة على الأمة اللبنانية في ١٠ تموز سنة ١٩٢٠.

الحاج محمد حسن ، الياس الشويري، فؤاد عبد الملك ، محمود جنبلاط ، سليمان كنعان ، خليل عقل ، سعدالله حويك . »[١]

لكن السلطات المنتدبة أطلعت بواسطة أحد جواسيسها على ما كان يجري سراً. فاعتقلت في ضهر البيدر بعض القائمين بهذه الحركة وحكم عليهم بالنفي إلى جزيرة كورسيكا . وما عتمت أن ألغت في ١٢ تموز ١٩٢٠ مجلس إدارة لبنان بحجة « عدم استطاعته القيام بوكالته » .

معركة ميسلون واحتلال سورية

توالت الأحداث بسرعة .

ويئس الفرنسيون من التعاون مع فيصل ، فانذروه بواسطة غورو مقرونين بذلك تطبيق قرارات مؤتمر سان ريمو . وعلى أثر ذلك اشتبكت القوات العربية بالقوات الفرنسية في خان ميسلون صبيحة ٢٥ تموز سنة ١٩٢٠. فاندحرت القوات العربية لقلة معداتها

---

١ - امين السعيد ج ٢ ص ١٥٦ الى ١٥٩ .
تجد صورة زنكوغرافية عن هذه المضبطة في مجلة « المكشوف » العدد ٤٣٣ .

وتدريبها وسوء سياسة قادتها السوريين، وفر فيصل نحو الشرق[1].
فأرسلت الحكومة السورية من دمشق تعلم الجنرال غورو توقف كل مقاومة وقبول الشروط التي يفرضها، ومنها «زوال حكم فيصل» مع تقديم غرامة مالية وإلقاء السلاح.

اعادة الاقضية الاربعة الى لبنان

لم يبق أمام الفرنسيين إلا أن يكتسبوا رضى اللبنانيين الاستقلاليين، بعد أن بسطوا سيطرتهم على قسم كبير من المنطقة التي كانوا يحلمون بها. فأعلنوا أنهم سيحققون أماني اللبنانيين بإرجاع لبنان إلى حدوده الأصلية[2].

وبالفعل فقد ضرب يوم الثلاثاء في ٣ آب سنة ١٩٢٠ موعداً للمناداة بإرجاع الأقضية الأربعة إلى لبنان. فقدمت هيئات تمثل أعيان البقاع وبعلبك وحاصبيّا وراشيّا وعائلة الشماط في سرغاية، عرائض تطالب فيها الجنرال غورو بإرجاع الأقضية التي تمثلها إلى لبنان. وكان من أعضاء بعلبك السادة: ابراهيم بك حيدر، سعيد باشا سليمان. أما وفهد الهرمل فكان يرئسه محمد سعيد والأمير

---

١ ـ انظر اسعد داغر من ص ١٣٣ الى ١٥٠.
٢ ـ اعتبر غورو ان انتصار الفرنسيين في ميسلون سيسمح بتحقيق اماني اللبنانيين « من برقية غورو الى المطران مغبغب في ٣١ تموز ١٩٢٠ ـ رفيق ابو عراج ».

وشيد بن سمير رئيس قبيلة عرب عنزه[1].

اعلان لبنان الكبير

صدر قرار بتاريخ ٣١ آب سنـة ١٩٢٠ تحت رقم ٣١٨ يعلن استقلال لبنان الكبير[2]. واحتفل بهذا الحدث رسمياً في أول أيلول سنة ١٩٢٠. « كان ذلك اليوم مشهوداً بالجماهير الغفيرة التي حضرت الاحتفال. فلقد ضاقت بيروت بالوفود القادمة من طرابلس وعكار والبقاع والجنوب . وفيه ألقى الجنرال غورو خطابه التاريخي[3] » الذي جاء فيه قوله :

« يا أهل لبنان الكبير

« لقد قلت لكم منذ بضعة أسابيع إن اليوم الذي كان آباؤكم يتمنون حلوله عبثاً، ذلك اليوم الذي لم يسعدهم الحظ أن يشاهدوا ضياءه قد دنا .

« فأمام هـذا الشعب المتقاطر من جميـع البلدان التي أصبحت متحدة في وطن قوي بماضيه ، عظيم في مستقبله . أمام الحكومة اللبنانية وأمام أبنـاء أشهر الأسر والرؤساء الروحيـين من جميع المذاهب والطوائف ...

---

١ - رفيق ابو عراج ص ٤١ .

٢ - La Syrie et le Liban Sous l'occupation et le Mandat Français

٣ عبد الفتاح اليافي ص ٢٥٢ .

« وتجاه هذه الجبال الشامخة التي كانت قوة بلادكم وسور إيمانها وحريتها المنيع .

« وعلى شاطىء هـذا البحر العجيب الشهير بغرائبه والذي شاهد سفائن فينيقيا واليونان وروما تمخر في عبابه تحمل آباءكم أهل الذكاء والمهارة وأرباب الصناعة والتجارة والفصاحة كما يحمل إليكم بعد رجوع الحظ عهد صداقة عظيمة قديمة ونعمة السلم الفرنسي .

« أمام هؤلاء جميعاً شهود آمالكم وجهودكم وانتظاركم وبقلب يشاطركم فرحكم وفخركم أعلن للملأ :

لبنان الكبير

« وباسم الجمهورية الفرنسية أحييه متجلبباً بالقوة والعظمة من النهر الكبير إلى أبواب فلسطين إلى قمم لبنان الشرقي ... ذلك هو لبنان ...

« هذا هو الوطن الذي هتفتم له وحييتموه .

« وإني قبل تعيين حدوده قد أستشرت الأهالي ويمكنني أن أقول : إني محافظة على عهود فرنسا ، وعملاً بمبادىء جمعية الأمم ، لم اتخذ قاعدة لي سوى أماني الأهلين التي أعلنوها بملء الحرية ولم أقصد غير تقرير مصالحهم العادلة ... »

وفي أثناء الاحتفال ألقى الشيخ محمد أفندي الجسر خطاباً قيماً جاء فيه هذه العبارة ــ تحية للجنرال غورو ــ قال: «... تحيتي إليك تحية أمة واحدة يضمها وطن واحد ويرفرف فوقها علم

واحد[١] ... »

وضع صك الانتداب في اليوم ٢٤ من تموز سنة ١٩٢٢ .
وبتاريخ ٥ تشرين الأول سنة ١٩٢٣، بلّغه الجنرال فيغان لوكيل حاكم لبنان الكبير ، فوضع « رسمياً » موضع التنفيذ .

وظل حاكم لبنان فرنسياً حتى ٢٣ أيار ١٩٢٦ يوم أعلن المفوض السامي هنري دي جوفنيل الجمهورية اللبنانية. ومنذ ذلك التاريخ أصبح رئيس دولتنا لبنانياً ينتخبه المجلس النيابي اللبناني ، وأضحى لبنان يتمتع بدستور معروف محدد . وكان شارل دباس أول رئيس للجمهورية اللبنانية ، انتخب في ٢٦ أيار سنة ١٩٢٦ لثلاث سنوات ُجددت مرة واحدة.

---

١ - رفيق ابو عراج ص ٤٥ .

الفصل السادس

الاستقلال التام

*

مقاومة الحركات الانفصالية

كان من الطبيعي ألا تكف الحركات الانفصالية عن نشاطها بعد إعلان لبنان الكبير والجمهورية اللبنانية طالما ان الاجماع التام على استقلال لبنان في حدوده الحاضرة لم يكن متوفراً سنة ١٩١٩ – ١٩٢٠ . والجدير بالذكر ان الفرنسيين شجعوا بعض هذه الحركات لأغراض سياسية [١] .

كانت لفظة لبنان الكبير كبيرة في أفواه خصومه لا تمضغ . وبلغ من تنكّر البعض للبنان في كيانه الحاضر ان كان « يقطع من تذاكر النفوس القسم الأدنى ويكتفي بذكر مكان المولد [٢] .. »

إلا ان اللبنانيين الاستقلاليين جعلوا دوماً أنفسهم بالمرصاد . فقامت أحزاب لبنانية كالوحدة اللبنانية والاتحاد اللبناني وغيرهما ، تقف بوجه تلك الحركات . تجابهها تارة بالحجة والمنطق وطوراً بالاضرابات والنزول إلى الشارع .

ففي المحادثات السورية – الفرنسية سنة ١٩٣٦ لوضع معاهدة تحلّ محل الانتداب ، قدّم الوفد السوري لائحة بمطالبه ، منها سلخ الأراضي التي انضمت إلى لبنان سنة ١٩٢٠ وإلحاقها بالوحدة

---

١ – مذكرات الشيخ محمد الجسر – جريدة « الجريدة » سنة ١٩٥٣

٢ – توفيق وهبه ص ٩

السورية .

استنكر اللبنانيون المؤمنون بلبنان موحّد الاجزاء تعريض السوريين بسيادة وطنهم وتقسيمه فردوا بعمل منظم على الصعيدين الشعبي والرسمي :

دعت الأحزاب والمنظمات اللبنانية إلى الاضراب احتجاجاً واستنكاراً «وقابل المطران مبارك رئيس الجمهورية الفرنسية المسيو بون واستحصل منه على وعد صريح بأن فرنسة لا تتخلى عن تقاليدها ولن تهمل الدفاع عن لبنان وحمايته من أي اعتداء[1] » .

« وأبرز عمل رسمي هو ذاك الذي قام به الرئيس أميل اده الذي خابر المسيو فيانو وكيل وزارة الشؤون الخارجية الفرنسوية في ٢٤ حزيوان سنة ١٩٣٦ فأجابه وكيل الوزارة بكتاب يؤكد فيه أن فرنسة لن تتجاهل حقوق لبنان ، بعقد معاهدة على غرار المعاهدة السورية ، تضمن له عدا الاستقلال والسيادة حدوده الحاضرة التي أعلنت في ٣١ آب من السنة ١٩٢٠[2] » .

المعاهدة اللبنانية – الفرنسية سنة ١٩٣٦

بعد عقد المعاهدة السورية – الفرنسية في باريس بتاريخ ٩ أيلول سنة ١٩٣٦ ،تم تفاهم اللبنانيين والفرنسيين على تغيير الأوضاع

---

١ - توفيق وهبه ص ٢٢

٢ - توفيق وهبه ص ٢٢ - ٢٣

السياسية والإدارية في البلاد. فدخل الطرفان في مفاوضات أسفرت عن عقد معاهدة لبنانية – فرنسية تلغي الانتداب بعد توقيعها بثلاث سنوات[1]، يقبل لبنان بعدها في عصبة الأمم[2]. أما هذه المعاهدة فكانت مدتها ٢٥ سنة قابلة للتجديد[3].

في ٢٠ تشرين الثاني صدق المجلس النيابي اللبناني[4] هذه المعاهدة التي رفعت إلى حكومة باريس لتصديقها. فأهملها البرلمان الفرنسي ولم يبرمها.

الكتائب في الميدان

ويوم كانت المعاهدة اللبنانية – الفرنسية حديث الناس قاطبة وفكرة تأليف الجيش الوطني الذي نصت عليه المعاهدة تملأ الاذهان، ظهرت الكتائب اللبنانية إلى الوجود في ٢١ تشرين الثاني سنة ١٩٣٦، تؤمن بلبنان وطناً سيداً حراً مستقلاً، بعيداً عن أية وحدة أو اتحاد أو انتداب فحاربها المنتدبون «وسط الاضطهاد على المنظمة طوال قيام الانتداب ما بين سنة ١٩٣٦ و١٩٤٣، فأقفلت بيوتها ثلاث مرات إقفالاً شاملاً، وعطلت جريدتها «العمل»

---

١ – مقدمة المعاهدة.

٢ – مقدمة المعاهدة.

٣ – المادة السادسة من المعاهدة.

٤ – راجع تقرير الشيخ بشاره الخوري رئيس اللجنة البرلمانية للمفاوضة عن المعاهدة اللبنانية الفرنسية في جلسة المجلس النيابي بتاريخ ١٧ ت٢- ١٩٣٢

(وكانت قد صدرت في ٢١ تشرين الثاني سنة ١٩٣٩) سبع مرات، وحظر عليها العمل «القانوني» طول تلك الحقبة من الزمن فاضطرت إلى القيام بنشاطاتها سراً وجهراً غير آبهة لقرارات الحل التي كانت تنهال عليها دورياً ، ولا حافلة بالاضطهادات التي تنصب عليها من مختلف الجهات[١] ».

الميثاق الوطني

كان جو السياسة العالمية ينذر بالخطر ، وما عتمت ان اندلعت شرارة الحرب سنة ١٩٣٩ فاشتعلت الدنيا بنارها .

دخل لبنان وسورية، بعد انكسار فرنسة، تحت الحكم النازي الفاشستي . لكن الحلفاء استعادوهما ووعدوا شعبيها بالاستقلال . ثم أذاع كاترو في ٢٦ تشرين الثاني سنة ١٩٤١ بياناً جدّد فيه اعترافه باستقلال لبنان وتعهّد بأن « فرنسا الحرة ستتدخل بدون إبطاء لدى سائر الدول المتحالفة والصديقة الأخرى لتعترف هي أيضاً باستقلال دولة لبنان ... وبأن دولة لبنان تؤلف سياسياً وجغرافياً وحدة لا تتجزأ . وإن من الواجب أن لا تمسّ

---

١ ـ الكتائب اللبنانية ـ نشأة وتاريخ ـ ص ٩ .

سلامتها [1] » .

وكان جو لبنان قد عبق بالدعوة الكتائبية، فاستجاب المخلصون والطيبون لندائها الاستقلالي ، وقام اللبنانيون يتباحثون لتقريب وجهات النظر . وتوالت الاجتماعات اليومية بين الكتائب و كبار الساسة والقادة الشعبيين وتم الاتفاق على « ميثاق وطني » يتعهّد الجميع بموجبه العمل لبناء دولة حرة تخيم عليها العدالة الاجتماعية ، دولة مستقلة ذات شخصية مميزة تتعاون وجميع بلدان العالم ولاسيما شقيقاتها البلدان العربية إلى أقصى حدود التعاون شرط ألا تمس سيادتها أو ينتقص استقلالها .

آمن اللبنانيون ، جميع اللبنانيين هذه المرة ، بلبنان مستقلًا بكيانه الحاضر . وطويت صفحة الحركات الانفصالية وتجلّت « إرادة العيش معاً » لبناء دولة حرّة تقدمية .

وكما عاد الكثيرون قبل السنة ١٩٢٠ وبعدها إلى الاقتناع بحقيقة لبنان وضرورة وجوده ، عاد رياض الصلح وعبد الحميد كرامي وجميع اللبنانيين إلى الإيمان به وطناً نهائياً بحدوده الحاضرة. وعلى ضوء هذا الإيمان عمل الجميع داخل الحكم وخارجه. وسقط رياضنا الكبير سنة ١٩٥١ شهيد الوطنية والوفاء بعد أن قضى على مؤامرة

---

١ - من خطاب كاترو . يقول كاترو في كتابه « معركة المتوسط » ص ٢٣٠ ما معناه « ان سبيرز سعى ليحذف من بياني هذا التأكيد « ان دولة لبنان تتكون من وحدة سياسية وجغرافية لا تتجزأ » . فلو نزلت على رغبة سبيرز وحذفت هذا التعبير لافسحت المجال امام المطامع السورية لاثارة قضية المقاطعات الاربع المشهورة » . مزهر ص ١٠٤٥

السوريين القوميين .

قامت وحدتنا على عمق إيمان بشخصية لبنان الخاصة. ولولا هذا الإيمان لذاب « لبنان الكبير » ذوبان « دولة حلب » و « دولة العلويين » و « دولة جبل الدروز » .

ما كان بإمكان لبنان أن يصمد لولا إرادة بنيه . ما كان لهذه الإرادة أن تنتصر لو لم تقم على مفهوم قومي تقدمي صريح ، وماض مشترك طويل مليء بالجهاد ، وأمل بالمستقبل باسم .

الثورة الاستقلالية ١١ - ٢٢ تشرين الثاني ١٩٤٣

جرت الانتخابات العامة عام ١٩٤٣ . ثم انتخب الشيخ بشاره الخوري رئيساً للجمهورية فكلف المغفور له رياض الصلح بتأليف أول حكومة استقلالية . وبعد تأليف الوزارة تقدم الصلح بتاريخ ٧ تشرين الأول سنة ١٩٤٣ من المجلس النيابي ببيانه الوزاري الذي جاء فيه: « وستقبل الحكومة على إقامة هذه العلاقات (مع الدول العربية) على أسس متينة تكفل احترام الدول العربية لاستقلال لبنان وسيادته التامة وسلامة حدوده الحاضرة » .

كان من الطبيعي أن تبادر الحكومة إلى تعديل الدستور لتحريره من المواد التي تشير إلى الانتداب . فعدل ونشر في ٨ تشرين الثاني ١٩٤٣ . فغمرت البلاد موجة فرح واعتزاز .

وإذ عجز الفرنسيون عن عرقلة التعديل قاموا بعد منتصف ليلة الخميس ١١ تشرين الثاني في الساعة الثالثة بإلقاء القبض على رئيس

الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء وبعض الوزراء والنواب واعتقالهم في قلعة راشيا .

ألهب البلاد اعتقال الرؤساء الشرعيين فهبت مستنكرة الاعتداء على استقلال لبنان .

فألف حبيب أبوشهلا بصفته نائب رئيس الوزارة وعملاً بنصوص الدستور ، حكومة برئاسته تحل محل الحكومة المعتقلة .

هذا وقد مضت الهيئات الاشتراعية والتنفيذية في عملها ، فأصدر المجلس النيابي بياناً رفعه إلى الدول الحلفاء والدول العربية يحتج فيه بشدة على ما جرى . وانتقلت الحكومة إلى بشامون التي اتخذتها مقراً لها .

أما عمل الشعب فكان أكثر روعة إذ قام اللبنانيون يداً واحدة يذودون عن كرامتهم . « وجاء الاستاذ تقي الدين الصلح موفداً من قبل نسيبه رئيس الحكومة (رياض الصلح) إلى الشيخ بيار الجميل ، رئيس الكتائب اللبنانية الأعلى ، ينبئه بالاعتقال ويدعوه للقيام بما يراه موافقاً لمعالجة الحالة الحرجة ، فاتصل الرئيس الأعلى فوراً بأعوانه وأوعز إلى الكتائبيين بالنزول تواً إلى « الشارع » وحوالي الساعة العاشرة عقد اجتماع في بيت الكتائب اشترك فيه ممثلو فريقي النجادة — واحد برئاسة الاستاذ جميل مكاوي والآخر برئاسة الاستاذ أنيس الصغير — وحُدت خلاله القيادة وعهد بها إلى الشيخ بيار الجميل. فقاد الكتائبيون والنجادون الاضراب ونظموا المظاهرات في بيروت وفي مختلف أنحاء لبنان بتعاون وثيق[1] » .

---

١ - جميل جبر الاشقر - ص ٥٤

« كان اتحادهما هذا حادثاً خطيراً في تاريخ لبنان ورمزاً لاتحاد الشعب اللبناني، وانقلابه كتلة واحدة متراصة... أخذ هذا الشباب قضيـة الاضراب بيدين حديديتين، وألف له اللجان. وقضت الحكمة أن يتولى شباب الكتائب تأمين استمراره في الأحيـاء الشرقية التي يقطنها المسيحيـون، حيث بذلت الجهود وأطلقت الدسائس لإثارة النعرة الطائفية، فضلاً عن تأمينه في سائر الأحياء، بالاشتراك مع شباب النجاذة [1] ... انبرت العناصر النيّرة لمحاربة هذا العدو الأخطر في النزاع الطائفي. ماذا كان يحلّ بلبنان، لو اختلف أبنـاؤه، وعادوا منقسمين طوائف ومذاهب وشيعـاً وأدياناً، يقتلون بعضهم بعضاً ؟... جـاهد الوطنيون اللبنانيون جهاداً رائعاً جبّاراً ضدّ هذا الخطر وبذلوا في دفعه ما بذلوا... وأبلى شبان الكتائب في هذا المضمار أحسن البلاء. لقد وقفوا في وجه تيار الإشاعات وكان لوقوفهم هـذا الموقف، أثر بليغ في خنق الفتنة في مهدها [2] ».

« وكان من هذا الشباب (كتائب ونجادة) فرقة لتوزيـع المنشورات التي تطلع الشعب على ما يطلب منه، في المواقف المختلفة، وكانت منه فئة للاستخبارات تتولى جمع الأخبار المختلفة في المدينة، وفي الخارج وتقدّمها إلى الجهات الوطنية، وتلاحق الإشاعـات المؤذية، فتحاربها بشتى الطرق، بالتعاون بينها وبين سائر الهيئات الوطنية. (وكانت فئة أخرى تتصل بالحكومة الشرعية في بشامون

---

١ - منير تقي الدين، ص ١٤٩

٢ - منير تقي الدين، ص ١٦٥

لتنقل قراراتها إلى المدينة ، وتبلغها إلى أربابها) .

« واتخذ هذا الشباب من بيت الكتائب مركزاً عاماً ، يرتاده الشعب بالألوف ، ويتزوّد منه التعليمات في سلوك خطة المقاومة ، إلى ان أقفل ذلك البيت ، واحتله الجنود فاتخذ له مقراً آخر [1] » .

أبلغت فرقة الاستخبارات في الكتائب اللبنانية الشيخ بيار الجميل الرئيس الأعلى لهذه المنظمة أن بعض المأجورين « قد نزلوا إلى أرض الجميزة يحاولون فتح المحلات فيها بالتهويل والتهويش ، فأبى الرئيس إلا أن ينزل إليهم بنفسه ، وغادر بيت الكتائب مصطحباً اثنين من رفاقه ، فلما وصل صاح بأولئك الأشخاص مؤنباً ، داعياً إياهم إلى مراعاة حرمة الوطن وجهاده ، فما كان من أحدهم إلا أن تصدى له ، وسدّد مسدسه إليه وأطلق منه رصاصة تجنبها الشيخ بطرس بخفة. وبينما كان المعتدي يهمّ بإطلاق رصاصة ثانية حاول بعضهم انتزاع المسدس منه ، فزلت قدمه وجاءت في مطلقها فجرحته . سلم الشيخ بطرس وسلم هناك الاضراب ، أما الرجل فقد مات بعد أيام من أثر جراحه [2] ... » .

---

١ - منير تقي الدين ص ١٤٩ - ١٥٠

٢ - منير تقي الدين ص ١٤٦ . هذا ما يرويه الاستاذ منير تقي الدين . اما الشيخ بيار الجميل فيروي حادثة اطلاق النار هذه على الشكل التالي : « ... واطلق علي احدهم رصاصة فأخطأني ، وهجمت عليه وانتزعت منه مسدسه ولكن رفيقاً له اطلق رصاص مسدسه علي ولكنه اصاب زميله فقتله ... » (بيار الجميل يروي ذكريات الاستقلال - جريدة «العمل» العدد ٤١٩٢ تاريخ ٢ تشرين الثاني ١٩٥٩) .

فصبت السلطة نقمتها على هـذا الشباب ، فطاردته مطـاردة شديدة ، ولاحقت قادته ولجانه للقبض عليهم حتى تشلّ الحركة ، ولكنها لم توفق إلا إلى اعتقال رئيسهم الأعلى الشيخ بطرس الجميل وأحد أعضاء اللجنة العليا الياس ربابي . ولكنها لجأت إلى الحيلة والغدر حتى تمكنـّت منهما [1] » .

اعتقال رئيس الكتائب زاد الجماهير حماسة ، فضاعفت جهادها واستماتت .

وفي تلك الأيام التاريخية « شعر المجاهدون الأحرار بضرورة إخراج العلم اللبناني الجديد ، وكان قد تناولت وضـع تصاميمه أبحاث سابقة ، فنسجته في الحال أيدٍ كتائبية وقدّمته المنظمتان إلى حكومة بشامون حيث رفع بتظاهرة حماسية وافتخار [2] » .

ثم ان صمود اللبنانيين في اتحادهم وضغط الرأي العـام العالمي أجبرا كاترو على عزل هللو وعلى إطلاق سراح المعتقلين بلا قيد ولا شرط .

هذا وقد طالب اللبنانيون بجلاء الجيوش الأجنبيـة استكمالاً لسيادتهم . هذا الجلاء الذي شاءت ظروف الحرب ألا يـتم إلا في ٣١ كانون الأول سنة ١٩٤٦ بعـد أن طرحت القضيـة على مجلس الأمن الدولي .

---

١ - منير تقي الدين - ص ١٥٠
٢ - جميل جبر الاشقر ص ٥٤

رغبت البلدان العربية في توثيق علاقاتها . فتوالى السعي لإيجاد صيغة تعبر عن هذه الرغبة . ورأى رياض الصلح أن يبدد مخاوف اللبنانيين فأكد بتاريخ ٢٣ أيلول ١٩٤٤ في المجلس النيابي اللبناني إيمانه باستقلال لبنان قائلاً : « قلنا ولم نزل نقول ... لا يمكن لنا أن نقبل انتقاصاً ولو كان قليلاً من استقلال لبنان . فنحن جميعاً لنا هدف واحد : وهو استقلال لبنان استقلالاً تاماً ناجزاً كاملاً بحدوده الحاضرة ».

وفي أوائل تشرين الأول سنة ١٩٤٤ وجّه مصطفى النحاس باشا رئيس الحكومة المصرية دعوته إلى مؤتمر يعقد في الاسكندرية . فأسفرت المشاورات عن اتفاق عرف ببروتوكول الاسكندرية .

ولكن اللبنانيين ، والكتائب في طليعتهم ، رأوا فيه مساساً باستقلالهم فطالبوا بتعديله . فعدل . وحل « ميثاق القاهرة » أي ميثاق جامعة الدول العربية الحالي محل بروتوكول الإسكندرية الذي طوي إلى غير نشر ...

راعى المؤتمرون تمسك لبنان باستقلاله التام ، فوضعوا بياناً أكدوا فيه احترامهم لاستقلاله وسيادته في حدوده الحاضرة .

لبنان في هيئة الامم المتحدة

غدا لبنان عضواً في هيئة الأمم المتحدة فاطمأن على استقلاله إذ

جلس في مصاف الدول المستقلة ولم يعد يخشى عودة أي انتداب ، لأن المادة ٧٨ من ميثاق سان فرنسيسكو تقول : « لن يطبق نظام الوصاية على البلدان التي أصبحت أعضاء في الأمم المتحدة ، إذ يجب أن تقوم العلاقات بينها على احترام مبدأ المساواة المطلقة » .

الفصل السابع

لبنان واجب الوجود

*

وبعد ، في هذه اللمحة العجلى أكثر من عبرة وذكرى .

انها قصة إيمان . إيمان بالحرية ، بالكرامة ، بالإنسان .

انها قصة كيان عبّر ويعبّر عن هذا الإيمان، كيان بناه أهلوه حجراً حجراً .

انها قصة كفاح لم يهادن ، لم يملّ ، ولن يملّ .

ما كان استقلال لبنان حدثاً طارئاً في زمن معيّن ولفترة معينة ، فقد استمر عبر التاريخ بجدة تتفاوت بتفاوت الأحوال والظروف . ونحن ما شددنا على العصور الحديثة والحالية إلا لأنها أقرب إلينا وألصق بنا وأفعل فينا وأجلى تعبيراً عنّا ممّا قبلها .

*

وهنا لا بدّ من القول ولو تلميحاً ، انه ما كان بوسع لبنان أن يتمتع بهذا الاستقلال المستمرّ عبر تاريخه لولا عاملان خاصان باللبنانيين . ذلك أن الشعوب جميعها تنزع إلى الاستقلال نزعة اللبنانيين ، هذا الاستقلال الذي تختلف مفاهيمه وأشكاله وكيفية

تحقيقه باختلاف المكان والزمان والظروف .

أما العاملان الخاصان فهما بيئة لبنان الطبيعية وجغرافيته الإنسانية [١] . فبفعل وتفاعل وإنفعال هذين العاملين أتيح للبنانيين إمكانيات وظروف لم تتح لغيرهم من الشعوب .

فلولا ميزات بيئة لبنان الطبيعية لما كان لنا تاريخ فينيقية المجيد، ولما كان لبنان حصناً للكثير من العناصر البشرية والمعتقدات الدينية. ولولا تنوّع العناصر البشرية والمعتقدات الدينية المتفاعلة، على مرّ الأجيال ، مع بيئتها وفيما بينها في آن واحد ، لما وجدت الشخصية اللبنانية المميزة التي تبرر ، في الأساس ، الوجود اللبناني .

*

لا نتمسك باستقلال لبنان لأننا نريد أن نحيا أحراراً ، ولا لأن استقلاله كان أبداً مستمراً، ولا لأنه من صنعنا وثمرة نضالنا، ولا لأننا أمة لها قوميتها وحسب ، بل أيضاً لأن لوجوده قيمة انسانية كبرى .

ان لبنان وطن قليل عدد أفراده ، ضيّقة رقعة أرضه، ولكن قيمته في ذاته ، في وجوده في هذا المكان من العالم . قيمته بشخصيته المميزة التي جعلتنا نؤمن به وبديمومته كضرورة إنسانية . ويوم يفقد لبنان إستقلاله لن يخسره أبناؤه بقدر ما

---

١ - نفهم بجغرافيته الانسانية تنوع العناصر البشرية ولا سيما تنوع المعتقدات الدينية في شعبه .

تخسره الإنسانية إذ بمقدوره أن يلعب دوراً فريداً في الحضارة الإنسانية .

ان إيمان اللبنانيين جميعهم بلبنان شرط أساسي لبقائه وقيامه برسالته . ذلك ان رسالته واستقلاله لا ينفصلان : إذا بطل هذا بطلت تلك .

*

لنا ماضينا ، ولنا دورنا الحضاري ، أليس من الجريمة أن نتخلى عنهما ؟

الفهرس

مصادر ومراجع البحث

*

- مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية عن سوريا ولبنان – فيليب وفريد الخازن – جونيه ، ١٩١١
- المؤتمر العربي الأول – صدر عن اللجنة العليا لحزب اللامركزية بمصر – القاهرة ١٣٣٠ هـ. – ١٩١٣ م.
- لبنان بعد الحرب – اوغست اديب باشا – مصر ١٩١٩ ، عربه الشيخ فريد حبيش
- في سبيل الاستقلال يوسف السودا – مصر
- استقلال لبنان يوسف اصاف بك – مصر ١٩٢٠
- الحزب الوطني اللبناني – البرنامج والقانون – مصر ١٩٢٠
- استقلال لبنان والاتحاد اللبناني في الاسكندرية يوسف السودا – مصر ١٩٢٢
- مذكرات قائد عربي – عبد الفتاح ابو النصر اليافي – ؟
- النتائج السياسية للحرب العظمى – رمزي ميور – ترجمه إلى العربية محمد بدران – مصر ١٩٣٦
- مجموعة « الحرب العظمى » الجزء ٢٩ – عمر ابو النصر – بيروت ١٩٣٨

– مجموعة محاضر جلسات المجلس النيابي اللبناني سنة ١٩٤٣و١٩٤٤

– تقويم البشير لسنة ١٩٤٧

– مجلة « المكشوف » العدد ٤٣٣

– الثورة العربية الكبرى – الاستاذ امين السعيد – مصر – ؟

– الحركة الكتائبية – جميل جبر الاشقر – بيروت ١٩٤٩

– تاريخ الشعوب الاسلامية–الدول الاسلامية بعد الحرب العالمية الأولى – الجزء الخامس – كارل بروكلمان .
نقله إلى العربية الدكتور نبيه امين فارس ومنير بعلبكي – بيروت ١٩٥٠

– ملوك العرب – امين الريحاني – الطبعة الثالثة– بيروت ١٩٥١

– تاريخ العرب (مطول)– الدكتور فيليب حتي – الجزءان الثاني والثالث – الطبعة الثانية – بيروت – ١٩٥٣

– تاريخ لبنان الموجز – اسد رستم وفؤاد افرام البستاني – بيروت – ١٩٥٢

– ميثاق هيئة الامم المتحدة – إدارة الأنباء بالامانة العامة للامم المتحدة – ليك سكسس – نيويورك

– لبنان في حبائل السياسة – توفيق وهبه – بيروت ١٩٥٣

– اخبار الاعيان في جبل لبنان – طنوس الشدياق – مطابع سميا – بيروت ١٩٥٤

– نحن ولبنان – الاستاذ عبدالله القبرصي – بيروت ١٩٥٤

- رسالة في الاتحاد - ساطع الحصري ، اكرم زعيتر ، كامل مروه - بيروت ١٩٥٤

- تاريخ لبنان العام - الدكتور يوسف مزهر - بيروت - ؟

- مجموعة مجلة « اوراق لبنانية » - يوسف ابراهيم يزبك - السنة الثانية - حدث بيروت ١٩٥٦

- بشير بين السلطان والعزيز - الدكتور اسد رستم - منشورات الجامعة اللبنانية - بيروت - القسم الأول ١٩٥٦
القسم الثاني ١٩٥٧

- الكتائب اللبنانية - نشأة وتاريخ - بيروت ١٩٥٨

- تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين - الجزء الاول - الدكتور فيليب حتي - بيروت ١٩٥٨

- مذكراتي على هامش القضية العربية - اسعد داغر - القاهرة ١٩٥٩

- لبنان من الاحتلال إلى إعلان الجمهورية ١٩٢٦ - رسالة لنيل شهادة التعليم الثانوي في التاريخ من الجامعة اللبنانية (معهد المعلمين العالي) - رفيق ابو عراج - بيروت ١٩٥٩

- منشورات جمعية الدراسات التاريخية والجغرافية في لبنان - النشرة الاولى - ١٩٥٩

- لبنان في التاريخ - الدكتور فيليب حتي - ترجمة الدكتور انيس فريحه - بيروت ١٩٥٩

— La France au Liban — Louis de Baudicour
Paris1879

— La question du Liban — M. Jouplain
Paris 1908

— La Vérité sur la question syrienne
Publié par le Commandement de la VIème Armée
Istambul 1916

— La Syrie de Demain — Nadra Moutran
Paris 1916

— La Syrie — Dr. George Samné
Paris 1920

— La Syrie — H. Lammens S.J.
Beyrouth 1921

— La Syrie et le Liban sous l'occupation et le Mandat français 1919-1927
Nancy-Paris-Strasbourg 1929

— Précis d'Histoire de la Syrie et du Liban
René Mouterde S.J.
Beyrouth 1939

— Histoire du Liban du XVIIe. siècle à nos jours.
Tome I.
Dr. Adel Ismaïl — 1955

— Le Liban de l'Histoire — Pedro Dib
Revue « Action » Octobre 1956

— Interview de M. Pierre Rondo t au journal «L'Orient»,
Salah Stétié.
«L'Orient» 2 Novembre 1959

تصويب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٥	١	فتنادرا	فتنادوا
٥٩	١	جغرافيان	جغرافيا
٨٠	(الحاشية)	Word	World
٨١	١٣	السلطات الترك	السلطات الترك ــ المانية
٩٥	١٣	اما وفهد الهرمل	اما وفد الهرمل
١٠٣	١٢	وسط الاضطهاد	وسلط الاضطهاد
١٠٥	(الحاشية)	معركة المتوسط	معركة البحر المتوسط

مطبعة الجهاد ـ بيروت
تلفون : ٢٣٥٤٢

« لقد ازدحمت حوادث التاريخ الخطيرة في لبنان ، لبنان الغني بالزمن الصغير بمساحته ، كما لم تزدحم في أية بقعة أخرى من بقاع الدنيا مساحتها مساحة لبنان ...

لا جدال في ان لبنان يستطيع أن يفخر على أية قطعة جغرافية مساحتها مساحته ،ليس بعدد الحوادث الجسام التي مثلت على أرضه وحسب ،بل يستطيع أن يباهي بمعنى هذه الحوادث وقيمتها وأهميتها العالمية . قد يصح أن ننعت لبنان بأنه ، من حيث الجغرافية ، بلد مكروسكوبي ولكنه من حيث التأثير ، بلد كوني ، لأن تاريخه في الواقع جزء من تاريخ عالمنا المتحضر ...

فقصة لبنان عبر التاريخ إذن قصة العالم المتمدن ، ولكن على نطاق صغير . »

الدكتور فيليب حتي

« لبنان في التاريخ »

الثمن ١٥٠ قرشاً لبنانياً